

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01003 1007



FROM THE  
LIBRARY OF  
THE  
AMERICAN UNIVERSITY  
IN  
CAIRO

من مكتبة  
الجامعة الامريكية بالقاهرة

BJ

Ibn Miskawayh, Ahmad ibn Muhammad


1291

Tahdhīb al-akhlāq

I27

1905

CAS



03-B1526  
b. 12947489  
J. 14583495

Y

١ / تهذيب ابن الهيثم

ترجمة المؤلف

ابن الهيثم

( بقلم ملتزم الطبع )

١٨٧٢

هو أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه ( بكسر الميم كسيبويه على ما في  
القاموس ) كان من فلاسفة القرن الرابع للهجرة ومن أعظم العلماء الراسخين  
الآخذين للعلوم عن مصدرها النقل والمقل تشبع من فلسفة حكماء اليونان فقراء  
الكتاب المسمى بفضائل النفس تأليف الحكيم أرسطو طاليس منقولاً من اللغة  
اليونانية إلى العربية بقلم أبي عثمان الدهشقي وقرأ كتاب الاخلاق لأرسطو أيضاً  
وقد قرن الحكمة بالشريعة في كل تقريراته العلمية وكثيراً ما يطلب الرجوع إلى  
الشريعة التي ما خالفت العقل في شيء . وألف كثيراً من الكتب منها كتاب ترتيب  
السعادات ضمنه ما يلزم لطالب السعادة من العلوم . ومنها مختصر في صناعة العدد  
وهذان الكتابان نص عليهما المؤلف في كتابه هذا . قال ابن أبي أصيبعة في طبقات  
الاطباء ما نصه . أبو مسكويه فاضل في العلوم الحكيمة خبير بصناعة الطب جيد  
في أصولها وفروعها ومسكويه من الكتب كتاب الاشربة وكتاب الطبيخ وكتاب  
تهذيب الاخلاق اهـ . وجاء في الكتاب المسمى اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لمؤلفه  
جناب ادوارد فانديك ما نصه . أبو علي أحمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ له  
كتاب تجارب الامم وهو مهم جداً للوقوف على تاريخ بني العباس اعتنى بطبعه  
المسيودي جويه في كتابه المسمى قطع متفرقة للمؤرخين من العرب طبع في ليدن  
من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٧٢ افر نكيه مع كتاب آخر اسمه كتاب العيون والحدائق

في أخبار الحقائق. وتنتهي أخبار كتاب تجارب الأمم المذكور إلى سنة ٣٧٢ هـ أي إلى منتصف خلافة الطائع العباسي وكتاب تهذيب الأخلاق هـ .  
 وورد في كشف الظنون ما يأتي تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق للشيخ أبي علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ يشتمل على ست مقالات أوله اللهم إنا نتوجه إليك وهو كتاب مفيد في علم الأخلاق هـ  
 وجاء في كتاب تراجم الحكماء تأليف الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المصري المتوفى سنة ٦٤٦ هـ جريدة الذي كان وزيراً للملك الناصر صلاح الدين : مسكويه أبو علي الخازن من كبراء فضلاء العجم وأجلاء فارس له مشاركة حسنة في العلوم الأدبية والعلوم القديمة كان خازناً للملك عضد الدولة بن بويه مأموناً لديه أثيراً عنده. وله مناظرات ومحاضرات وتصنيفات في العلوم فمن تصنيفاته كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنف في الحكايات القصص والنوادر اللطيفة وكتاب تجارب الأمم في التاريخ بلغ فيه إلى بعض سنة ٣٧٢ هـ وهي السنة التي مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه. وهو كتاب جميل يشتمل على كل ما ورد في التاريخ مما أوجبه التجربة وتفريظ من فرط وحزم من استعمال الحزم. وله في أنواع علوم الأوائل كتاب الفوز الكبير وكتاب الفوز الصغير. وكتاب في الأدوية المفردة. وكتاب في تركيب الباجات من الأطعمة أحكمه غاية الأحكام وأتى فيه من علم أصول الطبيخ وفروعه. وعاش زمناً طويلاً إلى أن قارب سنه ٤٢٠ هـ هذا ما ورد في كتاب تراجم الحكماء المذكور وهو في نسخة بخط اليد قديمة العهد وقفت في آخر البحث عليها أثبتته هنا توفية لابن مسكويه ببعض ما يجب له جزاء خدمته للنوع الإنساني وربما كانت له تراجم أوسع مما وجدته

# مقدمة

هذا ما كتبه حضرة المهذب الفاضل والعلامة الكامل الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان من أكابر علماء الجامع الأزهر الشريف وأحد أعضاء محكمة الاستئناف الشرعية بمدينة القاهرة تعليقاً على هذا الكتاب . قال أدام الله نفعه :

— ❦ —  
❦ كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ❦

يقول بعض علماء الاخلاق ان الانسان كله خير محض بفطرته ويذهب آخرون الى أنه جميعه شر صرف بغير تربية وعليهما لا لزوم للتربية والتهذيب لانه ان كان الانسان خيراً فلا داعية الى تخريره . وان كان شراً صرفاً فلا نفع في محاولة تطهيره . وبطلانها ظاهر من نفسه وإلا لما شرعت الشرائع ولما قررت الاحكام ولما ورد التكليف بالاعمال ولما بين الحسن والتبجح ولما جاء الترغيب والترهيب . وحكمة الله اكبر من أن يخصص للجنة قوماً وللنار آخرين ويربط استحقاق الجنة بعمل واستيطان النار بعمل بدون ان يجعل في خلقه الانسان الاهلية لاحدى الجهتين . وقد دلنا صنع الله في ارسال رسله لهداية خلقه وابعادهم عن الغواية على ان الانسان قد يكون ميالاً للشر ثم يعود فيهن شره أو ينتقل الى حالة الخيرين ويؤيد هذا أيضاً المشاهدة والنظر في أجوال الناشرين

وذهب جماعة الى ان في الانسان من يوجد خيراً وفيه من يولد شريراً وهؤلاء انقسموا الى من قال بأن الانسان على ما يوجد وعلى ما يولد ولا يمكن تحويله عما خلق عليه ومن قال بصحة التحويل . والاولون من هذه الجماعة يقال على مذهبهم ما قيل على أصحاب الرأيين الاولين لانهم في الحقيقة ذاهبون الى ما ذهبوا اليه فلا حاجة معهم الى التربية والتهذيب . أما القائلون بصحة تحويل الخير الى شرير والشرير الى خير فهم أقرب للصواب لاننا نشاهد بالبداية الاثنين يولدان من ظهر وبطن واحد ويميلهما الى الخير أو الى الشر مختلفا وانه بالتربية يخف ضرر الشرير وبالتربية يعرف الخير طريق الخير ويزيد فيه وان جاء الخير من الشرير جاء بتكاف أو تقليد أو ترغيب أو ترهيب . واذا جاء الشر من الخير جاء مطلقاً غير مبالغ فيه

وهناك من يقول بأن الانسان مجرد في أصل الخلق عن الاسمين الخير والشر جميعاً وانه يولد قابلاً لها على السواء فأى منهما لقيه صادف منه قلباً خلياً فتمكن منه . فبالتربية يدخل في إحدى الفصيلتين وبها يقع عليه الحكم فيقال خير أو شرير . وهذا الرأي هو الصواب ولا حاجة فيه الى اقامة البرهان فالوجدان يحسه والطبع يألفه والذوق يحكم به والعقل يقبله بغاية الارتياح . وعليه وحده أو عليه وماقبله اشتغل علماء الاخلاق ببيان الفاضل منها والمفضول والذليل والمرذول وبينوا أنواع التربية والتهذيب وأساليب التعلم والتعليم وأقاموا الحجج والبيئات و ضربوا الامثال مفصلات وضمنوها كتبهم وجعلوها هادياً ومرشداً للناس

ومن أنفع الكتب في هذا الباب كتاب تهذيب الاخلاق الذي نحن



بصدده فانه افضل اصولها وضبط أنواعها وميز حدودها حتى قام كل خلق منها وحده ممتازاً عما عداه وجاءت عباراته علمية عالية محكمة الصنع دقيقة الوضع وكفاها شرفاً انها عبارة مؤلف فاضل من علماء القرن الرابع جاء في هذا الوجود والديناميكية بالعلم وللعلم قيمة بين أهلها ولاصحابه مكانة في النفوس فلا موجب للاطناب في وصف الرجل والكتاب فهو اكبر من ان يعرف بمعرف من أهل هذا الجيل الرابع عشر الذي ليس لنا فيه إلا الرجوع لآراء الاقدمين من أمثاله خلافاً للمعقول الذي هو تقدم العلم بتقدم الزمان لان التقدم فيه يكون بالرجوع الى الوراء وتطبيق الآراء المتقدمة على ما نحن فيه الآن حتى نعرف هل ينفع هذا الكتاب وأمثاله فينا تقول : قد يؤس من صلاح حالنا قوم منا وحببتهم علينا ان الوجهة قد انصرفت عن النافع الى الضار . ومن أخص ذلك الكتب قالوا . إنا نرى الاقاصيص الباطلة هي الراجحة والكتب النافعة هي الصنفه الخاسرة البائرة وأقاموا الدليل بالاحصاء على المطابع والمطبوعات . وحببتهم تكاد تكون هي الغالبة البالغة فانا لو أحصينا ما يباع من النافعة وما يباع من الضارة بالمعقول المفسدة للغة والاخلاق لوجدنا ان ما يباع من الاولى لا يصل واحد من الالف في جانب ما يباع من الثانية وبالاستقراء نرى ان ما يباع من الاولى لا يباع إلا بالرجاء ولا يرغب فيه إلا بسيف الحياء . وان ما يباع من الثانية يطلب ثم يفرغ ثم توجد الرغبة فيه فيتجدد طبعه أو ما يماثله ولو ذكرت الامثلة على القضيتين لفاز المحتج بالانتصار

وكان أصحاب هذه الحججة يقولون اننا خلقنا شرراً صرفاً بالفريزة واننا ممن قسم لهم القدر ان يكونوا أشقياء وانه لانفع فينا التربية ولا يجدينا

التهذيب . ولو أمعنوا النظر وفكروا فيما كنا عليه وما صرنا اليه لقالوا ان كانوا منصفين بأننا كنا في عماء الجاهلية واننا دخلنا في نور العلم نوعاً واننا قابلون للاصلاح . نعم يرد علينا ان المتحول منا عن طبعه الاولى قليل في جانب طول الزمن ولكن هذا لا يقدر في أصل المطلوب وهو اننا بشر انسان لنا ماله يصح فينا ان نصلح لو وجد ممن وظيفتهم اصلاحنا بعض القيام بما يقتضيه حالنا . ولا نشك في انه لو دام الامر حتى على هذا السير البطيء وبالاولى لو قام منا أناس عرفوا مصلحتنا فأخذوا بما يرقبها لوصلنا الى التحول من الشر الى الخير عاجلاً أو آجلاً أو لكثرت فينا المربون المهذبون الصالحون والحكم للغالب كما يقتضيه ناموس الامم في كل زمان

وان من أنفع الوسائل طبع مثل هذا الكتاب ولو فرضنا انه لقي منا ما يلقاه نظائره من الكتب النافعة فلا شبهة في أنه ان بيع بعضه هذه المرة بالرجاء يباع باقيه بالطلب والرغبة بما يتسامع عنه الناس بعضهم من بعض ثم يطلبون إعادة طبعه أو ما يشابهه من اخواته النافعة وليس هذا بعيد وقد يوجد فينا من يثبط المهمة ويقول : ان الكتب في هذه الايام صارت كضريبة يفرضها الظالمون يتقاضى ثمنها بالمحابة أو المجاملة وان من يشتغل بالتأليف او الطبع مما ينتقي من كتب السلف المتقدمة انما هو قاصد ربح او مروج سعة أو نهاب أو سلاب أو طالب قوت ولكن لا يهم هذا القول من توفيق لمثل هذه الخدمة . فان الجنة قد حفت بالمكاره . وان الطيب الماهر لا يهيمه صراخ المريض من مرارة الدواء . وان النصح والعمل بالمنفعة مما يستعذب معه مثل هاته الاقاويل . نالهم وفق منا من يؤلف ووفق منا من يطبع ووفق منا من يقرأ

ووفق منا من يبلغ من لم يقرأ ووفق منا من يستمع القول فيتبع أحسنه أنك  
على ما تشاء قدير اه

علم الاخلاق

علم بأصول يعرف به حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلّة  
وجودها وفائدتها وما هي وظيفتها التي تؤديها وما الفائدة من وجودها وعن  
سببها وأميلها وما ينقلها بسبب التعاليم عن الحالة القطرية  
( وهو أول علم تأسس منذ بدأ الخليقة ونطقت به السنة الملائكة وفي آية  
( وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد  
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون )  
أي أنجعل فيها من تكون هذه بعض أخلاقهم دليل على إيجاده مقترناً بالانفس  
البشرية لازماً لها وقانوناً يعصمها عن اتّباع خطة الشرور وانتهاج مسالك  
الفساد وهو قسم من الفلسفة العملية وباقي الاقسام آلات له والفلسفة العملية  
من مقدماته ومن المهمات اليه وانه من الفنون والصناعات التي لاغناء عنها لآية  
أمة أرادت أن يكون لها من الحياة الصحيحة نصيب

ولما كان موضوع هذا العلم البحث في حال النفس وهي أشرف الموجودات  
بسبب جوهرها المجرد الذي تناسب به انفس الملائكة من هذه الجهة كانت  
صناعته من أقدس الصناعات وأكرمها . لذلك ولكونه أول شيء اختط في  
الخطط البشرية . وبيانه ان سلسلة الصناعة نشأت عن مبدع الصنع تقديس  
ذاته . ثم أفاض المعلومات والاسماء الدالة على المسميات على أول بشر خلقه

من خلقه وجعله خليفته في أرضه ولم يعلمها ملائكته المقربين لما في ذلك من عدم الضرورة الداعية الى تعليمهم اياها لتجردهم عن ماديات هذا العالم وكشافته ولانهم منزهون عن معنى المشاركة في المصالح الارضية التي تستلزم المزاومة وهي بلا شك تقتضي وجود صناعة ذات اصول وقواعد لتربية الانفس بحيث تجعلها صالحة للبحث في احوال الموجودات على وجه يضمن الاعتدال في الطلب ويسير بكل نفس الى ما أعدت له وتهيأت اليه . هذه الصناعة التي حلت في المحل الاول من الانبياء والمرسلين ثم انقلبت في الملوك العادلين والسلاطين الصالحين كانت سبباً لنظام العالم وتدير مصالح الخلق على اختلاف في الغايات وتفاوت في المشارب وتباعد في الاستعداد وتباين في التهيؤ والقابلية والتي تجعل البذل شعاراً والرحمة دثاراً لا يمكن أن يعبر عنها بغير صناعة الاخلاق .

وقلما تتأصل هذه الصناعة في نفوس غير نفوس القائمين بسياسات الامم لارتباطهم بها ومزاوتهم لها ومسايرتهم عليها . نعم توجد في انفس الحكماء والفلاسفة وهو لاء انما يعملون بها في خاصة انفسهم أو من يرشدونهم الى معرفتها

أما فائدة صناعة الاخلاق فقد ظهرت في بقية الناس عنواً وجاءت لهم من قبل الرؤساء وأوليا الامور الذين يقودونهم الى عمل الصالح والاصح برسمهم خطط المصالح ووضع معالم الاعمال وسن القوانين الملايمة لاحوال الناس وقيامهم على حراستها وتنفيذها بكل طرق الحيلة والاحتراس في التدابير السياسية واعداد الناس الى ممارسة المصالح وتوزيع الاعمال على نمط يكفل التساوي بين الافراد في الحقوق والواجبات حتى يمتنع التهافت

وبطل النزاح المؤدى الى النقص فى الانصباة والحظوظ المعاشية  
وهذه الاخلاق الموزنة بين الافراد قد لا يخلو حالها من قسمين فالقسم  
الاول هو الذي تأصلت فيه هذه الصناعة فهو يعلمها ويعلمها الناس . وهو الذي  
أشرنا اليه آنفاً والقسم الثانى يعلمها بحكم العادة وبالسير على التوائين الوضعية  
علماً مجرداً عن أصول الصناعة يتغير دائماً بتغير الاوضاع والنظامات إذ كان  
نصيبهم من الاخلاق ما ألفوه بحكم العادة أو أزموه بسبب الوضع وهو لا  
هم الذين لم تبرز نفوسهم بالشرائع والنواميس المهدبة  
فأخلاقهم فى مهنهم وطرق معاملاتهم تستدعي شدة العناية على حراستها  
وتستوجب تيقظ الساسة لمراقبتها وكل هذا يجعل القائمين على مصالح الخلق أن  
لا يقتصر وافي السياسة على الجزآت والقصاص ردعاً وزجراً للناس عن الشرور .  
فان هذا موجب للنصب والتعب ولا يخلو من التخبط فى النظام والشكاسة  
فى الاخلاق

وأحرى بالقائمين على مصالح الناس أن يسوسهم مع هذا بضر وبمن  
التهديب بالعلوم ونشر الفنون وجعل ما ينشر منها نافعاً فى تنوير البصائر وتقويم  
المدارك التى تجعل صاحبها قادراً على الاخذ بالمنافع وترك المضار  
واذا كانت الحكومات التى تريد أن تسوس الناس بالطرق الوضعية  
فقط دائماً مضطرة الى عظيم النفقات فى سبيل حراسة الامن وتقويم العدالة  
وهى مع ذلك متموية مكدودة  
فأحرى بها أن تعدل ببعض النفقات الى نشر الفنون واحياء الصناعات  
ونشر العلوم الاقتصادية وعلم أصول الاخلاق بين الطبقات التى شملها التعليم

لنربية . لانفس وجعلها كباراً تستحق الذوات الحيوانية وتسعد بالذائد الروحية  
وهي الخلال الكريمة والسجايا الانسية التي يترفع بها المرء ويفخر على من لم  
يكن حائزاً لها ولا لبعضها

فهذه الصناعة الجليلة صناعة الاخلاق هي بالاولى وباللازم من خصائص  
الرؤساء ومن مميزاتهم وهم الذين يفيضونها على الناس على مقتضى الحكمة  
وبموجب السداد فان شغف الرئيس بصلاح حال مرؤسيه لذة لا تضارعها  
لذة وسرور لا يعادله سرور واذا التذ بهذه المعنويات وحات عنده في المحل  
الاول وتأصلت فيه احتقر كل ما عداها من بقية أنواع موجبات السرور  
واذا كان كل انسان يفرح باتقان صناعته وجودتها ويباهى بها ويفاخر بصناعة  
الرؤساء بذر الاخلاق الجليلة وغرس الفضائل في نفوس المرؤسين وبث المنافع  
والمصالح بينهم كان سرور الرؤساء بذلك فوق كل سرور

فاذا وجد رؤساء لم يحظو بهذه الفضائل إما لقصور في الطلب أو لعدم  
القابلية وفقدان الوسائل فأولئك الذين لم تنتقل نفوسهم عن الجليلة الاولى وهم  
المتغابون إذ لم يؤهلوا للرئاسة

يسوسون الانام بعير عتل وينفذ رأيهم فيقال ساسه

عبد العليم صالح



# هَذَا الْإِخْلَاقُ بِمَسْكُونِهِ

﴿ في الترية ﴾  
ابنه مكويه

( ملزم الطبع )

## بِعَبْدِ بْنِ صَالِحٍ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ

﴿ قررت نظارة المعارف العمومية تدريسه بمدرسة المعلمين الناصرية ﴾

﴿ الطبعة الثانية — والاعادة محفوظة للمترجم ﴾

نمن النسخة ١٥ قرشاً صافاً

( مطبعة مدرسة والده عباس باشا الاول بالطريقة الشرقية بشارع خيرت بالقاهرة )

سنة ١٣٢٣ هجرية — ١٩٠٥ ميلادية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٠

ص. ١٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

51005

٧٧٧١ - ٥٠٦١



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرشد الى الصراط المستقيم ومدح الخلق العظيم وأرسل  
فيه محمداً متمماً لمكارم الاخلاق وأدبه فأحسن تأديبه على الاطلاق  
اللهم انا نتوجه اليك ونسئ نحوك ونجاهد نفوسنا في طاعتك ونركب  
الصراط المستقيم الذي نهجته لنا الى مرضاتك فاعنا بقوتك واهدنا بعزتك  
واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك  
ورأفتك انك على ما تشاء قدير

(قال) احمد بن محمد بن مسكويه غرضنا في هذا الكتاب ان نحصل  
لانفسنا خلقاً تصدر به عنا الافعال كلها جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا  
لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق في  
ذلك ان نعرف اولاً نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولأي شيء أوجدت فينا  
أعني كما لها وغايتها وما قواها وملكاتنا التي اذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها  
هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي يركبها فنلجج وما الذي  
يدسيها فتخيب فان الله عز من قائل يقول. ونفس وما سواها فالهمها تجورها  
وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. ولما كان لكل صناعة مباد

عليها تبتى وبها تحصل وكانت تلك المبادئ مأخوذة من صناعة أخرى وليس في شيء من هذه الصناعات أن تبين مبادئ أنفسنا كان لنا عذر واضح في ذكر مبادئ هذه الصناعة على طريق الاجمال والاشارة بالقول الوجيز وان لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما توخينا من اصابة الخلق الشريف الذي يشرف شرفاً ذاتياً حقيقياً لا على طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة أعني المكتسب بالمال والمكاثرة أو السلطان والمغالبة أو الاصطلاح والمواضعة فنقول وبالله التوفيق قولاً نبين به ان فينا شيئاً ليس بجسم ولا بجزء من جسم ولا عرض ولا محتاج في وجوده الى قوة جسيمة بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ثم نبين ما مقصودنا منه الذي خلقنا له وندبنا اليه فنقول

تعريف النفس

انا لما وجدنا في الانسان شيئا يصاد أفعال الأجسام وأجزاء الأجسام بجده وخواصه وله أيضاً أفعال تضاد أفعال الجسم وخواصه حتى لا يشاركه في حال من الأحوال وكذلك نجده يبين الاعراض ويصادها كلها غاية المباينة ثم وجدنا هذه المباينة المضادة منه للأجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام أجساماً والاعراض اعراضاً حكماً بأن هذا الشيء ليس بجسم ولا جزء من جسم ولا عرضاً وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وأيضاً فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص (وبيان ذلك) ان كل جسم له صورة ما فانه ليس يقبل صورة أخرى من

جنس صورته الاولى الا بعد مفارقتها الصورة الاولى مفارقة تامة (مثال ذلك) ان الجسم اذا قبل صورة وشكلا من الاشكال كالتثليث مثلا فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير وغيرها إلا بعد أن يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل صورة نقش أو كتابة أو أي شيء كان من الصور/فليس يقبل صورة أخرى من ذلك الجنس إلا بعد زوال الاولى وبطلانها البته فان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل تختلط به الصورتان فلا يخلص له احدهما على التمام (مثال ذلك) اذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش إلا بعد أن يزول عنه رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستقيم مستمر في الاجسام . ونحن نجد أنفسنا تقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة للاولى ولا معاينة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاماً كاملاً وتقبل الرسم الثاني أيضاً تاماً كاملاً ثم لا تزال تقبل صورة بعد صورة أبداً دائماً من غير أن تضعف أو تقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يرد ويطرأ عليها من الصور بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصورة الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام ولهذا العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست النفس اذا جسماً فاما انها ليست بعرض فقد تبين من قبل أن العرض لا يحمل عرضاً لان العرض في نفسه محمول أبداً موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو قابل أبداً حامل أتم وأكمل من حمل الاجسام للاعراض . فاذا النفس ليست جسماً

ولا جزءاً من جسم ولا عرضاً وأيضاً فإن الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسماً يحصل في النفس في قوتها الوهمية من غير ان تصير به طويلاً عريضة عميقة ثم تزداد فيها هذه المعاني ابداً بلا نهاية فلا تصير بها أطول ولا أعرض ولا أعمق بل لا تصير بها جسماً ألبتة ولا اذا تصورت ايضاً كصفات الجسم تكيفت بها . أعني اذا تصورت الالوان والطعوم والروائح لم تصور بها كما تصور الاجسام ولا يمنع بعضها قبول بعض من اضدادها كما يمنع في الجسم بل قبلها كلها في حالة واحدة بالسواء . وكذلك حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول تحصله قوة على قبول غيره دائماً ابداً بلا نهاية وهذه حالة مقابلة لحوال الاجسام وخاصة في غاية البعد من خواصها \* وايضاً فإن الجسم قواه لا تعرف العلوم الا من الحواس ولا يميل إلا اليها فهي تشوقها بالملابسة والمشابكة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام والغلبة وبالجملة كل ما يحس ويوصل اليه بالحس \* والجسم يزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تماماً وكالاً لانها مادته واسباب وجوده فهو يفرح بها ويشتاق اليها من اجل انها تتم وجوده وتزيد فيه وتمده . فاما هذا المعنى الآخر الذي سميناه نفساً فانه كلما تباعد من هذه المعاني البدنية التي احصيناها وتداخل الى ذاته وتحملي من الحواس باكثر ما يمكن ازداد قوة وتتماماً وكالاً وتظهر له الآراء الصحيحة والمعقولات البسيطة . وهذا اذن أدل دليل على ان طباعه وجوهره من غير طباع الجسم والبدن وأنه اكرم جوهر او افضل طباعاً من كل ما في هذا العالم من الامور الجسمانية \* وايضاً فان تشوقها الى ما ليس من طباع البدن وحرصها على معرفة حقائق الامور الالهية وميلها الى الامور التي هي أفضل

من الامور الجسمية واثيرها لها وانصرفا عن الامور والذات الجسمانية  
يدلنا دلالة واضحة انها من جوهر اعلى واكرم جداً من الامور الجسمانية .  
لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يتشوق ما ليس من طباعه وطبيعته  
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فاذا كانت افعال النفس اذا  
انصرفت الى ذاتها فتركت الحواس مخالفة لافعال البدن ومضادة لها في محاولاتها  
واراداتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبيعه  
وايضاً فان النفس وان كانت تأخذ كثيراً من مبادئ العلوم عن الحواس  
فلها من نفسها مبادىء اخرى وافعال لا تأخذها عن الحواس البتة وهى المبادئ  
الشريفة العالية التي تبنى عليها القياسات الصحيحة . وذلك انها اذا حكمت انه  
ليس بين طرفي النقيض واسطة فانها لم تأخذ هذا الحكم من شيء آخر لانه  
اولى ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اوليا . وايضاً فان الحواس تدرك  
المحسوسات فقط وأما النفس فانها تدرك اسباب الانفاقات واسباب الاختلافات  
التي من المحسوسات وهى معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم  
ولا آثار الجسم . وكذلك اذا حكمت على الحس انه صدق او كذب فليست  
تأخذ هذا الحكم من الحس لانه لا يصاد نفسه فيما يحكم فيه ونحن نجد النفس  
العاقلة فينا تستدرك شيئاً كثيراً من خطأ الحواس في مبادئ افعالها وترد  
عليها احكامها . من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه من قرب ومن بعد أما  
خطأه في البعيد فبادراكه الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهى مثل  
الارض مائة ونيفا وستين مرة يشهد بذلك البرهان العقلي فتقبل منه وترد  
على الحس ما شهد به فلا يقبله . وأما خطأه في القريب فبمنزلة ضوء الشمس

اذا وقع علينا من ثقب مربعات صغار كحلل الالهواز واشباهها التي يستظل  
 بها فانه يدرك بها الضوء الواصل اليها منها مستدير افترد النفس العاقلة عليه  
 هذا الحكم وتغلطه في ادراكه وتعلم انه ليس كما يراه وتخطأ البصر ايضاً في  
 حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطئ ويخطأ في الاساطين المسطرة والنخيل  
 واشباهها حتى يراها مختلفة في اوضاعها . ويخطئ ايضاً في الاشياء التي تتحرك  
 على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والطوق ويخطئ ايضاً في الاشياء الغائصة  
 في الماء حتى يرى ان بعضه اكبر من مقداره ويرى بعضها مكسوراً وهو صحيح  
 وبعضها معوجاً وهو مستقيم وبعضها منكسراً وهو منتصب . فيستخرج  
 العقل اسباب هذه كلها من مباد عقلية ويحكم عليها احكاماً صحيحة وكذلك  
 الحال في حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس . اعني حاسة  
 الذوق تغلط في الحلو تجده مرراً عند الصد او ما شبهه وحاسة الشم تغلط  
 كثيراً في الأشياء المنتنة لاسيما في المتفل من رائحة الى رائحة فالعقل يرد  
 هذه القضايا ويقف فيها ثم يستخرج اسبابها ويحكم فيها احكاماً صحيحة والحاكم  
 في الشيء المزيف له أو المصحح افضل واعلى رتبة من المحكوم عليه وبالجملة  
 فان النفس اذا علمت ان الحس صدق او كذب فليست تأخذ هذا العلم من  
 الحس ثم اذا علمت انها قد ادركت معقولاتها فليست تعلم هذا العلم من علم آخر  
 لانها لو علمت هذا العلم من علم آخر لاحتاجت في ذلك العلم ايضاً الى علم آخر  
 وهذا يمر بلا نهاية فاذا علمها بأنها علمت ليس بماخوذ من علم آخر البتة بل  
 هو من ذاتها وجوهرها اعني العقل وليست تحتاج في ادراكها ذاتها الى  
 شيء آخر غير ذاتها ولهذا ما قيل في اواخر هذا العلم . ان العقل والعقل

والمعقول شيء واحد لا غيرية شيء يتبين في موضعه . فأما الحواس فلا تحس ذواتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة كما سيتبين أيضاً واذ قد تبين من هذه الاشياء بياناً واضحاً ان النفس ليست بجسم ولا بجزء من جسم ولا حال من أحوال الجسم وانها شيء آخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وخواصه وافعاله فنقول

### — شوق النفس الى أفعالها الخاصة بها —

أما شوقها الى أفعالها الخاصة بها أعني العلوم والمعارف مع هربها من أفعال الجسم الخاصة به فهو فضيلتها وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل يتزايد بحسب عناية الانسان بنفسه وانصرافه عن الامور العائقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد وضع مما تقدم ما الاشياء العائقة لنا عن الفضائل أعني الاشياء البدنية والحواس وما يتصل بها . فأما الفضائل أنفسها فليست تحصل لنا إلا بمد ان تطهر نفوسنا من الرذائل التي هي اضدادها أعني شهواتها الرديئة الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية . فان الانسان اذا علم أن هذه الاشياء ليست فضائل بل هي رذائل تجنبها وكره ان يوصف بها واذا ظن أنها فضائل لزمها وصارت له عادة وبحسب التباسه وتدنسه بها يكون بعده من قبول الفضائل . وقد يظهر للانسان ان هذه الاشياء التي يشاقها البدن بالحواس ويميل اليها الجمهور أعني المآكل والمشرب والمناكح هي رذائل وليست فضائل وانه اذا عقلا في الحيوانات الاخرى وجد كثيراً منها أقدر على الاستكثار منها وأحرص عليها كالخنزير والكلب وأصناف

كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطيور فانها اقوى وأحرص من  
الانسان على هذه الاشياء وأكثر احتمالاً لها وليست تكون بها أفضل من  
الانسان . وإيضاً فان الانسان اذا اكتفى من طعامه وشرابه وسائر لذاته البدنية  
اذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من الفضائل أبن ذلك وعاقبه وتبين  
له قبح صورة من يتعاطاها لا سيما مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل  
يتجاوز ذلك الى مقته وذمه بل الى تقويمه وتأديبه . فينبغي الآن ان تقدم امام  
ما نطلبه من سعادة النفس وفضائلها كلاماً يسهل به فهم ما نريده فنقول :

كل موجود من حيوان ونبات وجماد وكذلك بسائطها اعنى النار والهواء  
والارض والماء وكذلك الاجرام العلوية له قوى وملكات وافعال بها يصير  
ذلك الموجود هو ما هو وبها يميز عن كل ما سواه وله أيضاً قوى وملكات  
وافعال بها يشارك ما سواه . ولما كان الانسان من بين الموجودات كلها هو  
الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب ان لا ننظر في هذا  
الوقت في قواه وملكاته وافعاله التي بها يشارك سائر الموجودات إذ كان  
ذلك من حق صناعة أخرى وعلم آخر يسمى العلم الطبيعي . وأما افعاله وقواه  
وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها تتم انسانيته وفضائله فهي  
الامور الارادية التي بها تتعلق قوة الفكر والتمييز . والنظر فيها يسمى  
الفلسفة العلمية . والاشياء الارادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات  
والشرور . وذلك ان الغرض المقصود من وجود الانسان اذا توجه الواحد  
منا اليه حتى يحصل هو الذي يجب ان يسمى به خيراً أو سعيدياً . فأما من عاقبه  
عنها عوائق أخر فهو الشرير الشقي فاذا اخيرات هي الامور التي تحصل للانسان



بارداته وسعيه في الامور التي لها اوجد الانسان ومن اجلها خلق . والشروع  
هي الامور التي تعوقه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه أو كسله وانصرافه  
والخيرات قد قسمها الاولون الى أقسام كثيرة . وذلك ان منها ما هي شريفة  
ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك ونعني بالقوة التهيؤ والاستعداد  
ونحن نعددها فيما بعد ان شاء الله تعالى . وقد قدمنا القول ان كل واحد من  
الموجودات له كمال خاص وفعل لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء  
اعني انه لا يجوز ان يكون موجوداً آخر سواه يصلح لذلك الفعل منه وهذا  
حكم مستمر في الامور العلوية والسفلية كالشمس وسائر الكواكب وأنواع  
الحيوان كلها كالفرس والبازي وأنواع النبات والمعادن وكالعناصر البسائط  
التي متى تصفحت احوالها تبين لك من جميعها صحة ما قلناه وحكمنا به . فاذا  
الانسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو  
ما صدر عن قوته المميّزة المروية فكل من كان تميزه أصح ورويته أصدق  
واختياره أفضل كان أكمل في انسانيته . وكما ان السيف والمنشار وان صدر  
عن كل واحد منهما فعله الخاص بصورته الذي من اجله عمل . فأفضل السيوف  
ما كان امضى وانضر وما كفاه يسير من الايماء في بلوغ كماله الذي اعد له .  
وكذلك الحال في الفرس والبازي وسائر الحيوانات فان افضل الافراس ما كان  
اسرع حركة واشد تيقظاً لما يريد الفارس منه في طاعة اللجام وحسن القبول  
في الحركات وخفة العدو والنشاط . فكذلك الناس افضلهم من كان اقدر على  
افعاله الخاصة به واشد تمسكاً بشرائط جوهره الذي تميز به عن الموجودات

✽ الحرص على الخيرات ✽

فاذا الواجب الذي لا مربية فيه ان نحرص على الخيرات التي هي كمالنا  
والتي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول الى الانتهاء اليها وتجنب الشرور التي  
تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها فان الفرص اذا قصر عن كماله ولم تظهر افعاله  
الخاصة به على افضل احوالها حط عن مرتبة القرسية واستعمل بالاكاف  
كما تستعمل الحمير وكذلك حال السيف وسائر الآلات متى قصرت ونقصت  
افعالها الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها والانسان  
اذا نقصت افعاله وقصرت عما خلق له اعنى ان تكون افعاله التي تصدر عنه  
وعن رويته غير كاملة اخرى بأن يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة البهيمية .  
هذا ان صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاذا صدرت عنه الافعال  
بضد ما أعد له اعنى الشرور التي تكون بالروية الناقصة والعدول بها عن جهتها  
لأجل الشهوة التي يشارك فيها البهيمية أولا أو الاغترار بالامور الحسية التي  
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي ينتهي بها الى الملك الرفيع والسرور  
الحقيقي وتوصله الى قرّة العين التي قال الله تعالى . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من  
قرّة أعين . وتبلغه الى رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي لم ترها عين ولا  
سمعتها أذن ولا خطرت على قلب بشر وأنخدع عن هذه الموهبة السرمدية  
الشريفة بتلك الخساعات التي لا ثبات لها . فهو حقيق بالمقت من خالقه عز  
وجل خليق بتعجيل العقوبة له وراحة العباد والبلاد منه . واذا تبين ان سعادة  
كل موجود انما هي صدور افعاله التي تخص صورته عنه تامة كاملة وان سعادة

الانسان تكون في صدور افعاله الانسانية عنه بحسب تميزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروى فيه ولذلك قيل أفضل الروية ما كان في أفضل مروى ثم ينزل رتبة رتبة الى ان ينتهي الى النظر في الامرو الممكنة من العالم الحسى فيكون الناظر في هذه الاشياء قد استعمل رويته والصورة الخاصة به التي صار من اجلها سعيداً معرضاً للملك الابدى والنعيم السرمدى في اشياء دنيئة لا وجود لها بالحقيقة فقد تين أيضاً اجناس من السعادات بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات والشرور في الافعال الارادية هي إما باختيار الافضل والعمل به وإما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت هذه الخيرات الانسانية وملكاها التي في النفس كثيرة ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ولذلك وجب ان تكون اشخاص الناس كثيرة وان يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة لتكميل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له فتكون الخيرات مشتركة والسعادة مفروضة بينهم فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد منهم بجزء منها ويتم للجميع بمعاونة الجميع الكمال الانسى وتحصل لهم السعادات الثلاث التي شرحناها في كتاب الترتيب . ولاجل ذلك وجب على الناس ان يحب بعضهم بعضاً لان كل واحد يرى كماله عند الآخر ولولا ذلك لما تمت للفرد سعاده فيكون اذاً كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضاء بدنه

وقد تين للناظر في امر هذه النفس وقواها انها تنقسم الى ثلاثة اعنى القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور والقوة التي بها

يكون الغضب والنجدة والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع  
 وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق  
 الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الخسية وهذه  
 الثلاث متباينة ويعلم من ذلك ان بعضها اذا قوى اضر بالآخر وربما ابط  
 احدهما فعل الآخر وربما جعلت نفوسنا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر  
 في ذلك ليس يليق بهذا الموضوع وانت تكتفي في تعلم الاخلاق بأنها قوى  
 ثلاث متباينة تقوى احداها وتضعف بحسب المزاج أو العادة أو التأديب  
 فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن  
 الدماغ \* والقوة الشهوية هي التي تسمى بالبهيمية وآلتها التي تستعملها من  
 البدن الكبد \*

والقوة الغضبية هي التي تسمى السبعية وآلتها التي تستعملها من البدن  
 القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضائل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك  
 اضدادها التي هي رذائل فتي كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة  
 عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة ( لا المظنونة معارف وهي بالحقيقة  
 جهالات ) حدثت عنها فضيلة العلم وتبعتها الحكمة ومتى كانت حركة النفس  
 البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة غير متأبية عليها فيما تقسطه لها ولا منهمكة  
 في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتبعتها فضيلة السخاء  
 ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما تقسطه  
 لها فلا تهيج في غير حينها ولا تخمي اكثر مما ينبغي لها حدثت منها فضيلة الحلم  
 وتبعتها فضيلة الشجاعة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتبارها ونسبة

بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العسالة . فلذلك اجمع الحكماء على ان اجناس الفضائل اربع وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولهذا لا يفتخر احد ولا يتباهى الا بهذه الفضائل فقط . فأما من افتخر بآبائه واسلافه فلانهم كانوا على بعض هذه الفضائل أو عليها كلها وكل واحدة من هذه الفضائل اذا تعدت صاحبها الى غيره تسمى صاحبها بها ومدح عليها واذا اقتصر على نفسه لم يسم بها بل غيرت هذه الاسماء . أما الجود فانه اذا لم يتعد صاحبه سمي صاحبه منفاقاً . وأما الشجاعة فان صاحبها يسمى انفاً . وأما العلم فان صاحبه يسمى مستبصراً ثم ان صاحب الجود والشجاعة اذا عم غيره بفضيلتيه وتعدتاه رجي باحدهما واحتشم وهيب بالآخرى . وذلك في الدنيا فقط لانهما فضيلتان حيوانيتان . أما العلم اذا تعدى صاحبه فانه يرجى ويحتشم في الدنيا والآخرة لانه فضيلة انسانية ملكية . وازداد هذه الفضائل الاربعة اربع أيضاً وهي الجهل والشرة والجبين والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره . فأما اشخاص الانواع فهي بلا نهاية وهي امراض نفسانية تحدث منها امراض كثيرة كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق وسنذكرها ونذكر علاجاتها فيما بعد انشاء الله تعالى . والذي يجب علينا الآن هو تحديد هذه الاشياء اعني الاجناس الاربعة التي تحتوى على جمل الفضائل فنقول :

أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي ان تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة وان شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية ويثمر علمها بذلك ان تعرف المعقولات انما يجب ان يفعل وانما يجب

ان يغفل \* واما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بان يصرف شهواته بحسب الراى أعنى ان يوافق التميز الصحيح حتى لا ينفاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته \* واما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الانسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجبه الراى في الامور الهائلة أعنى أن لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا .

فأما العدالة فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التي عددناها وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سوم طبائنها ويحدث للانسان بها سمة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولاً ثم الانصاف والانتصاف من غيره وله . وسنتكلم على كل واحدة من هذه الفضائل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضائل التي تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم الوجيزة ليتصورها المتعلم . والذي ينبغي الآن ان نتبع ما قدمنا بذكر انواع هذه الاجناس وما تحت كل واحد منها فنقول (الاقسام التي تحت الحكمة) الذكاء . الذكر . الثقل . سرعة الفهم وقوته صفاء الذهن سهولة التعلم وبهذه الاشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة فأما الوقوف على جواهر هذه الاقسام فيكون من حدودها . وذلك ان العلم بالحدود يفهم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائماً على حال واحد وهو العلم البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه . والفضائل التي هي بذاتها فضائل لا تكون في حال من الاحوال غير فضائل

فكذلك العلوم بها . اما الذكاء فهو سرعة انقذاح النتائج وسهولتها على النفس .  
 اما الذكر فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل او الوجدان من الامور . واما التعقل  
 فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعه بقدر ما هي عليه . واما صفاء  
 الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب . واما جودة الذهن وقوته  
 فهو تأمل النفس لما قد لزم من المقدم . واما سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة  
 في الفهم بها تدرك الامور النظرية

— ❦ —  
 ❦ الفضائل التي تحت العفة ❦ —

الحياء . الدعة . الصبر . السخاء . الحرية . القناعة . الدماثة . الانتظام .  
 حسن الهدى . المسالمة . الوقار . الورع ❦ أما الحياء فهو انحصار النفس خوف  
 اتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق . واما الدعة فهي سكون النفس  
 عند حركة الشهوات . واما الصبر فهو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح  
 اللذات واما السخاء فهو التوسط في الاعطاء وهو ان ينفق الاموال فيما ينبغي  
 على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتمت السخاء خاصة أنواع كثيرة نخصيها فيما  
 بعد لكثرة الحاجة اليها . واما الحرية فهي فضيلة للنفس بها يكتسب المال من  
 وجهه ويمطى في وجهه وتمتع من اكتسابه من غير وجهه . واما القناعة فهي  
 التساهل في المآكل والمشارب والزينة . واما الدماثة فهي حسن انقياد النفس  
 لما يجمل وتسرعها الى الجميل . واما الانتظام فهو حال للنفس تقودها الى حسن  
 تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي . واما حسن الهدى فهو محبة تكميل النفس  
 بالزينة الحسنة . واما المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار

فيها . وأما الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب  
وأما الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة التي فيها كمال النفس

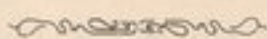
❦ الفضائل التي تحت الشجاعة ❦

كبر النفس . النجدة . عظم الهمة . الثبات . الصبر . الحلم . عدم الطيش .  
الشهامة . احتمال الكد والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان هذا  
يكون في الامور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة . أما كبر النفس  
فهو الاستهانة باليسير والافتقار على حمل الكرائه فصاحبه أبدا يؤهل نفسه  
للأمور العظام مع استخفافه لها . وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى  
لا يخامرها جزع . وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحمل بها سعادة الجد  
وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت . وأما الثبات فهو فضيلة للنفس  
تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الاهوال خاصة . وأما الحلم فهو فضيلة  
للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شعبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة .  
وأما السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في  
الحروب التي يذب بها عن الحریم أو عن الشريعة . وهو قوة للنفس تقصر  
حركاتها في هذه الاحوال لشدتها . وأما الشهامة فهي الحرص على الاعمال  
العظام توقفاً للاحدوث الجميلة . وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس بها تستعمل  
آلات البدن في الامور الحسية بالتمرين وحسن العادة



## ﴿ الفضائل التي تحت السخاء ﴾

الكرم . الايثار . النيل . المواساة . السماحة المسامحة . أما الكرم فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي وباقي شرائط السخاء التي ذكرناها . وأما الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه . وأما النيل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة . وأما المواساة فهي معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الاموال والاقوات . وأما السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب . واما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار



## ﴿ الفضائل التي تحت العدالة ﴾

الصدقة . الالفة . صلة الرحم . المكافاة . حسن الشركة . حسن القضاء . التودد . الببادة . ترك الحقد . مكافاة الشر بالخير . استعمال اللطف . ركوب المروءة في جميع الاحوال . ترك المعادات . ترك الحكاية عمن ليس بعدل مرضي . البحث عن سيرة من يحكي عنه العدل . ترك لفظه واحدة لا خير فيها مسلم فضلا عن حكاية توجب حداً او قذفاً او قتلاً او قطعاً . ترك السكون الى قول سفلة الناس وسقطهم . ترك قول من يكدي بين الناس ظاهراً باطناً او يلحف في مسألة او يلح بالسؤال . فان هؤلاء يرضيهم الشيء اليسير فيقولون لأجله حسناً ويسخطهم اذا منعوا اليسير فيقولون لأجله قبيحاً . ترك الشره

في كسب الحلال وترك ركوب الدناءة في الكسب لاجل العيال . الرجوع  
 الى الله والى عهده وميثاقه عند كل قول يتلفظ به او لحظ يلاحظه او خطرة في  
 اعدائه واصدقائه . ترك اليمين بالله وبشيء من اسمائه وصفاته رأساً . وليس  
 يعدل من لم يكرم زوجته واهلها المتصلين بها واهل المعرفة الباطنة به . وخير  
 الناس خيرهم لاهله وعشيرته والمتصلين به من اخ او ولد او متصل بأخ أو والد  
 او قريب او نسيب او شريك او جار او صديق او حبيب . ومن احب المال  
 حباً مفرطاً لم يؤهل لهذه المرتبة . فان حرصه على جمع المال يصد عنه استعمال  
 الرأفة وامتطاء الحق وبذل ما يجب ويضطره الى الخيانة والكذب والاختلاق  
 والزور ومنع الواجب والاستقصاء واستجلاب الدائق والحبة والذرة لبيع الدين  
 والمروءة . وربما انفق امواله محبة منه للمحمدة وحسن الثناء ولا يريد بذلك  
 وجه الله وما عنده . بل يتخذها مصيدة ويجعل ذلك مكسبة ولا يعلم ان ذلك  
 عليه سيئة ومسبة . اما الصداقة فهي محبة صادقة يهتم معها بجميع اسباب الصديق  
 وايتار فعل الخيرات التي يمكن فعلها به . واما الالفة فهي اتفاق الآراء  
 والاعتقادات . وتحدث عن التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش .  
 واما صلة الرحم فهي مشاركة ذوى اللحمية في الخيرات التي تكون في الدنيا .  
 واما المكافأة فهي مقابلة الاحسان بمثله او بزيادة عليه . واما حسن الشركة فهو  
 الاخذ والاعطاء في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع . واما حسن القضاء  
 فهو مجازاة بعدل بغير ندم ولا من . واما التودد فهو طلب مودات الاكفاء  
 واهل الفضل بحسن اللقاء وبالاعمال التي تستدعي المحبة منهم . واما العبادة  
 فهي تظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء

والائمة والعمل بما توجبه الشريعة وتقوى الله تعالى تتم هذه الاشياء وتكملها »  
 واذ قد تفصينا الفضائل الاولى واقسامها وذكرنا انواعها واجزاءها فقد عرفنا  
 الرذائل التي تضاد الفضائل لانه يفهم من كل واحدة من تلك الفضائل كلها  
 ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد

ولما كانت هذه الفضائل اوساطاً بين اطراف وتلك الاطراف هي  
 الرذائل وجب ان تفهم منها وان اتسع لنا الزمان ذكرناها لان وجود اسمائها  
 في هذا الوقت متعذر وينبغي ان تفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين  
 رذائل ما أنا واصفه . ان الارض لما كانت في غاية البعد من السماء قيل انها  
 وسط وبالجملة المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذ كان الشيء  
 على غاية البعد من شيء آخر فهو من هذه الجهة على القطر . فعلى هذا الوجه  
 ينبغي ان يفهم معنى الوسط من الفضيلة اذا كانت بين رذائل بعدها منها اقصى  
 البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بها أدنى انحراف قربت  
 من رذيلة اخرى ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التي تميل  
 اليها ولهذا صعب جداً وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب  
 لذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب  
 بعد ذلك حتى لا يخطأها اعسر واصعب . وذلك ان الاطراف التي تسمى  
 رذائل من الافعال والاحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جداً . ولذلك  
 كانت دواعي الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان تطلب اوساط تلك  
 الاطراف بحسب كل فرد فرد . فأما ما يجب على المؤلف فهو ان يذكر جملة  
 هذه الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على كل شخص

شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والصائغ وجميع أرباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صورة الباب والسرير والصائغ صورة الخاتم والتاج على الاطلاق . فأما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية . وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبموجب المادة . والصناعة لاتضمن الا معرفة الاصول فقط . واذ قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق وما ينبغي ان يفهم منه فلندكر هذه لاوساط لتفهم منها الاطراف التي هي رذائل وشروور فنقول وبالله التوفيق :

( أما الحكمة ) فهي وسط بين السفه والبله وأعنى بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي . وسماه القوم الجريرة واعنى بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغي أن يفهم ان البله ههنا نقصان الخلقة بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة . وأما الذكاء فهو وسط بين الخبث والبلادة فان احد طرفي كل وسط افراط والآخر تفريط أعنى الزيادة عليه والنقصان منه فالخبث والدهاء والحيل الرديئة هي كلها الى جانب الزيادة فيما ينبغي أن يكون الذكاء فيه . وأما البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب النقصان من الذكاء . وأما الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين العناية بما لا ينبغي أن يحفظ . وأما التعقل — وهو حسن التصور — فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع الى اكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر فيه عما هو عليه . وأما سرعة الفهم فهي وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير احكام لفهمه . وبين

الابطاء عن فهم حقيقته . وأما صفاء الذهن فهو وسط بين ظلمة النفس عن استخراج المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب وأما جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الافراط في التأمل لما لزم من المقدم حتى يخرج منه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه . وأما سهولة التعلم فهي وسط بين المبادرة اليه بسلاسة تثبت معها صورة العلم وبين التعصب عليه وتعذره (وأما العفة) فهي وسط بين رذيلتين وهما الشره وخبود الشهوة . واعنى بالشره الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي واعنى بخبود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراته وهي ما رخص فيه صاحب الشريعة والعقل

وأما الفضائل التي تحت العفة فان الحياء وسط بين رذيلتين . احدهما الوقاحة والآخرى الخرق . وانت تقدر على ان تلحظ اطراف الفضائل الاخرى التي هي رذائل وربما وجدت لها اسما بحسب اللغة وربما وجدت لها اسما وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي سلكتها (وأما الشجاعة) فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والآخرى التهور \* اما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي ان يخاف منه . وأما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه ( واما السخاء ) فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير والآخرى البخل والتقتير . اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق . وأما التقتير فهو منع ما ينبغي عمن يستحق ( واما المدالة ) فهي وسط بين الظلم والانظام اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي . واما الانظام فهو الاستحذاء والاستماتة في المقتنيات لمن

لا ينبغي وكما لا ينبغي . ولذلك يكون للجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة . واما المنظم فمقتنياته واملاله يسيرة جدا لانه يتركها من حيث لا يجب . واما العادل فهو في الوسط لانه يقتني الاموال من حيث يجب . ويتركها من حيث لا يجب . فالعدالة فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره اقل . واما في الضار فبالعكس وهو ان لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء ومن هذا المعنى شتق اسمه اعني العدل . واما الجائر فانه يطلب لنفسه الزيادة من المنافع وغيره النقصان منها واما في الاشياء الضارة فانه يطلب لنفسه النقصان وغيره الزيادة منها . فقد ذكرنا الاخلاق التي هي خيرات وفضائل واطرافها التي هي شرور ووزائل على طريق الايجاز وحددنا ما يحد منها ورسمنا ما يرسم وسنشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله تعالى . وينبغي ان نلخص في هذا الموضوع شكاً ربما لحق طالب هذه الفضائل فنقول : انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته . ولا بد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى يتم به حياته طيبة ويجرى امره على السداد . ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني بالطبع اي هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير لتم له السعادة الانسانية فكل بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتمون انسانته وهو ايضاً يفعل بهم مثل ذلك . فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل

العارف بنفسه التفرد والتخلي ولا يتعاطى ما يرى الفضيلة في غيره . فاذا القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما بملازمة المغارات في الجبال واما ببناء الصوامع في المفاوز . واما بالسياحة في البلدان لا يحصل لهم شيء من الفضائل الانسانية التي عددناها . ذلك ان من لم يخاطب الناس ولم يساكنهم في المدن لا تظهر فيه العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواه وملكانه التي ركبت فيه باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم تظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ولذلك يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك في سائر الفضائل اعنى انه اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التي هي شرور . ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضائل اعداما بل هي افعال واعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي المعاملات وضروب الاجتماعات . ونحن انما نعلم ونتعلم الفضائل الانسانية التي نساكن بها الناس ونخالطهم ونصبر على اذام لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى . وتلك الحال غير موجودة لنا الآن .

### المقالة الثانية

#### « الخلق »

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تنقسم الى قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالانسان الذي يحركه اذنى شيء نحو غضب وتهييج من اقل سبب وكالانسان الذي يجب من

أيسر شيء كالذي يفرع من أدنى صوت يطرق سمعه او يرتاع من خبر يسمعه  
وكالذي يضحك ضحكا مفرطاً من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغم ويحزن من  
أيسر شيء يناله \* ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه  
بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً . ولهذا اختلف  
القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم  
قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ . ثم اختلف الناس أيضاً اختلافاً ثانياً فقال  
بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون ليس شيء من  
الاخلاق طبيعياً للإنسان ولا نقول انه غير طبيعي . وذلك انا مطبوعون على  
قبول الخلق بل تنتقل بالتأديب والمواعظ إما سريعاً أو بطيئاً . وهذا الرأي  
الاخير هو الذي نختاره لأننا نشاهده عياناً ولان الرأي الاول يؤدي الى ابطال  
قوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين والى  
ترك الاحداث والصبيان على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم  
وهذا ظاهر الشناعة جداً

وأما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون اختياراً بالطبع ثم بعد ذلك  
يصيرون اشراراً بمجالسة اهل الشر والميل الى الشهوات الرديئة التي لا تقمع  
بالتأديب فينهمك فيها ثم يتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها  
والقبيح \* وقوم آخرون كانوا قبل هؤلاء ظنوا ان الناس خلقوا من الطينة  
السفلى وهي كدر العالم فعم لاجل ذلك اشرار بالطبع . وانما يصيرون اختياراً  
بالتأديب والتعليم إلا ان فيهم من هو في غاية الشر لا يصلحه التأديب وفيهم من ليس  
في غاية الشر فيمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتأديب من الصبا ثم بمجالسة



الاخيار واهل الفضل \* فأما جالينوس فإنه رأى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين . ثم افسد المذهبيين الاولين اللذين ذكراهما \* أما الاول فبأن قال ان كان كل الناس اختياراً بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فبالضرورة إما ان يكون تعلمهم الشرور من انفسهم وإما من غيرهم . فان تعلموا من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر اشرار بالطبع . فليس الناس اذا كلهم اختياراً بالطبع . وان كانوا تعلموه من انفسهم فاما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذا اشرار بالطبع وإما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي تشتاق الى الشر قوة اخرى تشتاق الى الخير إلا ان القوة التي تشتاق الى الشر غالبية قاهرة لتتي تشتاق الى الخير وعلى هذا أيضاً يكونون اشرارا بالطبع

وأما الرأي الثاني فإنه افسده بمثل هذه الحجة . وذلك انه قال ان كان كل الناس اشرارا بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من غيرهم او من انفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه \* ولما افسد هذين المذهبيين صحح رأى نفسه من الامور البينة الظاهرة . وذلك انه ظاهر جداً ان من الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير . ومنهم من هو متوسط بين هذين وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقاربة أهل الشر واغوائهم الى الشر

واما ارسطوطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب المقولات أيضاً ان الشرير قد ينتقل بالتأديب الى الخير . ولكن ليس على الاطلاق لانه

يرى ان تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد ان يؤثر ضرور التأثير في ضرور الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء . ونحن نؤلف من ذلك قياساً وهو هذا : كل خلق يمكن تغييره . ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع . فاذا لا خلق ولا واحد منه بالطبع . والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل الاول . اما تصحيح المقدمة الاولى . وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه وهو بين من العيان ومما استدللنا به من وجوب التأديب ونفعه وتأثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله خلقه واما تصحيح المقدمة الثانية وهي انه لا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر أيضاً . وذلك ان لا تروم تغيير شيء مما هو بالطبع أبداً . فان اى احد لا يروم ان يغير حركة النار التي الى فوق بأن يعودها الحركة الى اسفل ولا أن يعود الحجر حركة العلو يروم بذلك أن يغير حركة الطبيعة التي الى اسفل . ولو رامه ماصح له تغيير شيء من هذا ولا ما يجرى مجراه اعنى الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التأليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه وصار برهاناً . فاما مراتب الناس في قبول هذه الآداب التي سميناهم خلقاً والمسارعة الى تعلمها والحرص عليها فانها كثيرة وهي تشاهد وتماين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يسترونها بروية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذي انتهى في نشوئه وكاله الى حيث يعرف من نفسه ما يستتبع منه فيخفيه بضرور من الحيل والافعال المضادة لما في طبعه : وأنت تتأمل من اخلاق

الصبيان واستعدادهم لقبول الادب أو نفورهم عنه أو ما يظهر في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ومن الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم المتوانى والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير. والمتوسطون بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثيرة واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه في الطبع اما الغضب واما اللذة واما الزعارة واما الشره واما غير ذلك من الطباع المذمومة

### ✦ الشريعة ✦

والشريعة هي التي تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم بها وبسائر الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضروب اذا دعت اليه الحاجة او التويجات ان صدتهم او الاطماع في الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من الراحة او يحذرونه من العقوبات. حتى اذا تعودوا ذلك واستمر واعليه مدة من الزمان كثيرة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليداً وينبهوا على طرق الفضائل واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بصددنا والله الموفق

وللانسان في ترتيب هذه الآداب وسياقها أولاً فأولاً الى الكمال الاخير  
 طريق طبيعي يتشبه فيها بفعل الطبيعة . وهو ان ينظر الى هذه القوى التي  
 تحدث فينا ايها اسبق الينا وجوداً فيبدأ بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي  
 وهو بين ظاهر . وذلك ان اول ما يحدث فينا هو الشيء العام للحيوان  
 والنبات كله ثم لا يزال يختص بشيء شيء يتميز به عن نوع نوع الى ان يصير  
 الى الانسانية . فلذلك يجب ان نبدأ بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه  
 ثم بالشوق الذي يحصل فينا الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ثم بآخره  
 وهو الشوق الذي يحصل فينا الى المعارف والعلوم فنقومه . وهذا الترتيب  
 الذي قلنا انه طبيعي انما حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشونا اعنى  
 انا نكون أولاً اجنة ثم اطفالاً ثم انساناً كاملياً وتحدث فينا هذه القوى  
 مرتبة . فأما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعنى صناعة الاخلاق  
 التي تعنى بتجويد افعال الانسان بحسب ما هو انسان فيتبين مما اقول

~~~~~  
 ❦ الانسان ❦

لما كان للجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات  
 العالم كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم لم تصدر عنه  
 افعاله بحسب جوهره وشبهناه بالفرس الذي اذا لم تصدر عنه افعال الفرس  
 على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف وكان وجوده ارواح له من عدمه . وجب  
 ان تكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها  
 تامة كاملة بحسب جوهره ورفعته عن رتبة الاخس التي يستحق بها المقت

من الله والقرار في العذاب الاليم اشرف الصناعات كلها واكرمها . وأما سائر الصناعات الأخر فراتبها من الشرف بحسب مراتب جوهر الشيء الذي تستصلحه وهذا ظاهر جداً من تصنع الصناعات لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهائم الميتة وفيها صناعة الطاب والعلاج التي تهتم باستصلاح الجواهر الشريفة الكريمة وهكذا الهمم المتفاوتة التي ينصرف بعضها الى العلوم الدنيئة وبعضها الى العلوم الشريفة . واذا كانت جواهر الموجودات متفاوتة في الشرف في الجماد والنبات والحيوان . أما في الحيوان فكجواهر الديدان والحشرات اذا قيس الى جوهر الانسان . وإما في جوهر الموجودات الأخر فظاهر لمن اراد ان يحصيها . فالصناعة والهمة التي تصرف الى اشرفها اشرف من الصناعة والهمة التي تصرف الى الادون منها . ويجب ان يعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد . وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الانسان » وقال : عليه الصلاة والسلام « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة » وقال : « الناس كاسنان المشط وفي بعضها كاسنان الحمار وإنما يتفاضلون بالعقل . ولا خير في صحبة من لا يعرف لك من الفضل ما تعرف له » وفي نظائر هذه اشياء كثيرة تدل على هذا المعنى وان الشاعر الذي قال :

( ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً الى المجد حتى عد ألف بواحد )

وان كان عنده انه قد بالغ فانه قد قصر . والخبر المروى عن النبي عليه الصلاة والسلام « اني وزنت بأمتي فرجحت بهم » اصدق وأوضح . وليس

هذا في الانسان وحده بل في كثير من الجواهر الاخر. وان كان في الانسان  
 اكثر واشد تفاوتاً فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف  
 بالكهام تفاوتاً عظيماً. وكذلك الحال في التفاوت الذي بين الفرس الكريم  
 وبين البرذون المقرف فمن امكنه ان يرقى بالصناعة من ادون هذه الجواهر  
 مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرمه واكرمها. فأما الانسان  
 من بين هذه الجواهر فهو مستعد بضروب من الاستعدادات لضروب من  
 المقامات. وليس ينبغي ان يكون الطمع في استصلاحه على مرتبة واحدة  
 وهذا شيء يتبين فيما بعد بمشيئة الله وعونه. إلا ان الذي ينبغي ان يعلم الآن  
 ان وجود الجوهر الانساني متعلق بقدره فاعله وخالقه تبارك وتقدس اسمه  
 وتعالى. فأما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو متعلق بإرادته. فاعرف  
 هذه الجملة الى ان تلخص في موضعها ان شاء الله تعالى. وقد قدمنا في صدر  
 هذا الكتاب ان قلنا ينبغي ان نعرف نفوسنا ما هي ولاى شيء هي. ثم قلنا  
 ان لكل جوهر موجود كمالاً خاصاً به وفعلاً لا يشاركه فيه غيره من حيث  
 هو ذلك الشيء وقد بينا ذلك في غاية البيان في الرسالة المسعدة. واذا كان  
 ذلك محفوظاً فنحن مضطرون الى أن نعرف الكمال الخاص بالانسان والفعل  
 الذي لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله  
 ونجتهد في البلوغ الى غايته ونهايته. ولما كان الانسان مركباً لم يجز ان  
 يكون كماله وفعله الخاص به كمال بسائطه وفعالها الخاصة بها والا كان وجود  
 المركب باطلاً كالحال في الخاتم والسرير. فاذا له فعل خاص به من حيث هو  
 مركب وانسان لا يشاركه فيه شيء من الموجودات الاخر. فأفضل الناس

اقدروهم على اظهار فعله الخاص والزمهم له من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت . واذا عرف الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد \* فالكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك ان له قوتين احدهما العاملة والاخرى العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم وبالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا .

—o— الفلسفة —o—

تنقسم الى قسمين الى الجزء النظرى والجزء العملى فاذا كمل الانسان بالجزء العملى والجزء النظرى فقد سعد السعادة التامة \* اما كماله الاول باحدى قوته اعنى العاملة وهى التى يشتاق بها الى العلوم فهو ان يصير فى العلم بحيث يصدق نظره وتصح بصيرته وتستقيم رويته فلا يغلط فى اعتقاد ولا يشك فى حقيقة وينتهى فى العلم بامور الموجودات على الترتيب الى العلم الالهى الذى هو آخر مرتبة العلوم ويشق به ويسكن اليه ويطمئن قلبه وتذهب حيرته وينجلي له المطلوب الاخير حتى يتجد به وهذا الكمال قد بينا الطريق اليه وأوضحنا سبله فى كتب آخر \* وأما الكمال الثانى الذى يكون بالقوة الاخرى اعنى القوة العاملة فهو الذى نقصده فى كتابنا هذا وهو الكمال الخلقى ومبدؤه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى تتسلم هذه القوى فيه وتصدر افعاله كلها بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغي وينتهى الى التدبير المدنى الذى يرتب الافعال والقوى بين الناس حتى تنتظم ذلك الانتظام

ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد . فاذا الكمال الال  
النظري منزلته منزلة الصورة والكمال الثاني العملي منزلته منزلة المادة وليس  
يتم أحدهما إلا بالآخر لان العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون  
ضائماً والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلاً وهذا الكمال هو الذي سميناه غرضاً .  
وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شيء واحد وانما يختلفان بالاضافة فاذا  
نظر اليه وهو بعد في النفس ولم يخرج الي الفعل فهو غرض فاذا خرج الي  
الفعل وتم فهو كمال . وكذلك الحال في كل شيء لان اليت اذا كان متصورا  
للبناني وكان عالماً بأجزائه وتركيبه وسائر أحواله كان غرضاً . فاذا اخرجته الي  
الفعل وتممه كان كمالاً . فقد صحح من جميع ما قدمناه ان الانسان يصير الي  
كمال ويصدر عنه فعله الخاص به اذا علم الموجودات كلها أى يعلم كلياتها  
وحدودها التي هي ذواتها لا اعراضها وخواصها التي تصيرها بلا نهاية .  
فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها بنحو ما لان الجزئيات  
لا تخرج عن كلياتها فاذا كملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظوم ورتب القوى  
والملاكات التي فيك ترتيباً علياً كما سبق علمك به . فاذا انتهيت الي هذه  
الرتب فقد صرت عالماً وحدك واستحقيت ان تسمى عالماً صغيراً لان صور  
الموجودات كلها قد حصلت في ذالك فصرت انت هي بنحو ما . ثم نظمها  
بأفعالك على نحو استطاعتك فصرت فيها خليفة لمولاي خالق الكل جلت  
عظمته فلم تخط فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكيم فتصير حينئذ عالماً  
تاماً . والتمام من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقي بقاء  
سرمدياً فلا يفوتك حينئذ شيء من النعيم المقيم لانك بهذا الكمال مستعد



لقبول الفيض من المولى دائماً أبداً وقد قربت منه القرب الذي لا يجوز أن يحول بينك وبينه حجاب . وهذه هي الرتبة العليا والسعادة القصوى . ولولا ان الشخص الواحد من أشخاص الناس يمكنه تحصيل هذه المنزلة في ذاته وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالترقى اليها لكان سبيله سبيل أشخاص الحيوانات الاخر أو كسبيل أشخاص النبات في مصيرها الى الفناء والاستحالة التي تلحقها والنقصانات التي لا سبيل الى تمامها . ولاستحال فيه البقاء الابدى والنعيم السرمدى والمصير الى ربه ودخول جنته . ومن لا يتصور هذه الحالة ولا ينتهي الى علمها من المتوسطين في العلم يقع له شكوك . فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسماني بطل وتلاشى كالحال في الحيوانات الأخر وفي النبات فينثذ يستحق اسم الاحقاد ويخرج عن سمة الحكمة وسنة الشريعة

### ﴿ كمال الانسان في اللذات المعنوية ﴾

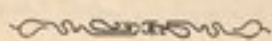
وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هما في اللذات الحسية وانها هي الخير المطلوب والسعادة القصوى . وظنوا ان جميع قواه الأخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها . وان النفس الشريفة التي سميناها ناطقة انما وهبت له ليرتب بها الافعال ويميزها ثم يوجهها نحو هذه اللذات لتكون الغاية الاخيرة هي حصولها له على النهاية والغاية الجسمانية . وظنوا أيضاً ان قوى النفس الناطقة أعنى الذكر والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية . قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر اللذات التي كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها وأحب معاودتها فقد صارت منفعة الذكر

والحفظ انما هي اللذات وتحصيلها . ولاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد الميّن وكالأجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية لتخدمها في المآكل والمشارب والمناكح وترتيبها لها وتعدّها اعداداً كاملاً موافقاً . وهذا هو رأي الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس السقاط . والى هذه الخيرات التي جعلوها غاياتهم تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل . وهي التي يسألونها ربهم تبارك وتعالى في دعواتهم وصلواتهم . واذا خلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك منهم على سبيل المتجر والمراجعة في هذه بعينها . كأنهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليلبغوا الى الباقيات . الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الأعلى الاشرف وما نزههم الله عنه من هذه القاذورات علموا بالجملة انهم اقرب الى الله تعالى وأعلى رتبة من الناس وأنهم غير محتاجين الى شيء من حاجات البشر . بل يعلمون ان خالقهم وخالق كل شيء الذي تولى ابداع الكل هو منزّه عن هذه الاشياء متعال عنها غير موصوف باللذة والتمتع مع الممكن من ايجادها . وان الناس يشاركون في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات والهمج من الحيوان . وانما يناسبون الملائكة بالعقل والتمييز ثم يجمعون بين هذا الاعتقاد والاعتقاد الاول . وهذا هو العجب العجيب . وذلك انهم يرون عياناً ضرورتهم بالاذى الذي يلحقهم بالجوع والعمرى وضروب النقص وحاجتهم الى مداواتها بما يدفعها عنهم . فاذا زالت آثارها وعادوا الى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا للراحة لذة . ولا يشعرون انهم اذا اشتاقوا

الى لذة الما كل فقد اشتاقوا أولاً الى ألم الجوع. وذلك انهم إن لم يؤلموا بالجوع لم يلتذوا بالأكل . وهكذا الحال في سائر اللذات الاخر . الا ان هذا الحال في بعضها اظهر منها في بعض . وسنتكلم على ان صورة الجميع واحدة وان اللذات كلها انما تحصل للملتذ بعد آلام تلحقه . لأن اللذة هي راحة من ألم وان كل لذة حسية انما هي خلاص من ألم أو اذى في غير هذا الموضع . وسيظهر عند ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غاية واقصى سعادته فقد رضى بأخس العبودية لاخس الموالى . لأنه يصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبداً للنفس الدنيئة التي يناسب بها الخنازير والخنافس والديدان وخسائس الحيوانات التي تشاركه في هذا الحال وقد تعجب جالينوس في كتابه الذي سماه بأخلاق النفس من هذا الرأي وكثر استجهاله للقوم الذين هذه مرتبتهم من العقل . الا انه قال ان هؤلاء الخبيثاء الذين سيرتهم اسوأ السير وارداؤها اذا وجدوا انساناً هذا رأيه ومذهبه نصره ونوهوا به وودعوا اليه ليروهوا بذلك انهم غير منفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى وصف اهل الفضل والنبيل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذراً لهم وتمويهاً على قوم آخرين في مثل طريقتهم . وهؤلاء هم الذين يفسدون الاحداث بايهاهم ان الفضيلة هي ما تدعوهم اليه طبيعة البدن من الملاذ . وأن تلك الفضائل الاخر الملكية إما ان تكون باطلة ليست بشيء ألبتة وإما ان تكون غير ممكنة لاحد من الناس : والناس مائلون بالطبع الجسداني الى الشهوات فيكثر اتباعهم وتقل الفضلاء فيهم . واذا تلبه الواحد بعد الواحد منهم الى ان هذه اللذات انما هي لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطبايع

المتضادة اعنى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وانه انما يعالج بالمأكل والمشرب أمراضاً تحدث به عند الانحلال لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبداً ما امكن ذلك فيه . وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الألم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض . وان السعيد التام هو من لا يعرض له مرض البتة . وعرف مع ذلك أيضاً ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله بقربه لا تلحقهم هذه الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب . وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف — عارضوه بأن بعض البشر أشرف من الملائكة وان الله تعالى أجل من ان يذكر مع الخلق . وشاغبوه وسفهوا رأيه وأوقعوا له شبهاً باطلة حتى يشك في صحة ما تنبه اليه وارشده عقله اليه

والعجب الذي لا ينقضى هو انهم مع رأيهم هذا اذا وجدوا واحداً من الناس قد ترك طريقهم التي يميلون اليها واستهان باللذة والتمتع وصام وطوى واقتصر على ما انبتت الارض عظموه وكثر تعجبهم منه واهلوه للمراتب العظيمة . وزعموا انه ولى الله وصفيه وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر . ويخضعون له ويدلون غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من أفن الراى وسفاهته على ما ترى فان فيهم من تلك القوة الاخرى الكريمة المهيبة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون الى اكرامهم وتعظيمهم



## ﴿ قوى النفس الثلاث ﴾

وإذا كانت القوى ثلاثاً كما قلنا مراراً فأدونها النفس البهيمية . وأوسطها النفس السبعية . وأشرفها النفس الناطقة . والإنسان إنما صار إنساناً بأفضل هذه النفوس اعنى الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم فأشرف الناس من كان حظه من هذه النفس أكثر وانصرافه إليها أتم وأوفر . ومن غلبت عليه إحدى النفسين الأخرين انحط عن مرتبة الإنسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه . فانظر رحمك الله إن تضع نفسك وإن تحب أن تنزل من المنازل التي رتبها الله تعالى للموجودات . فإن هذا امر موكول اليك ومردود الى اختيارك . فإن شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون منهم . وإن شئت فانزل في منازل السباع . وإن شئت فانزل في منازل الملائكة وكن منهم . وفي كل واحدة من هذه المراتب مقامات كثيرة فإن بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التأديب لأن الفرس إنما شرف على الحمار لقبوله الادب وكذلك في البازي فضيلة على الغراب . وإذا تأملت الحيوان كله وجدت القابل للتأديب الذي هو أثر النطق اعنى النفس الناطقة افضل من سائرهم وهو يتدرج في ذلك الى أن يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعنى الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة الإنسانية . وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل قريباً من البهيمية . وهم القوم الذين في اقاصى الارض المعمورة وسكان آخر ناحية الجنوب والشمال لا ينفصلون عن القروء الا بشيء قليل من التمييز . وبذلك القدر يستحقون اسم

الانسانية . ثم يتميزون ويزيدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم  
ويعتدل فيهم المزاج القابل لصورة العقل فيصير فيهم العاقل التام والمميز العالم .  
ثم يتفاضلون في هذا المعنى أيضاً الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان  
يبلغ اليه من قبول قوة العقل والنطق . فيصير حينئذ في الافق الذي بين  
الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطبق لحمل الحكمة فتفيض عليه  
قوة العقل ويسيح اليه نور الحق ولا حالة للانسان اعلى من هذه ما دام انسانا  
ثم ارجع القهقري الى النظر في الرتبة الناقصة التي هي ادون مراتب  
الانسان فانك تجد القوم الذين تضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين  
ذكرنا انهم في افق البهائم تقوى فيهم النقص البيهيمية فيميلون الى شهواتها  
المأخوذة بالحواس كالما كول والمشروب والملبوس وسائر النزوات الشبيهة  
بها . وهؤلاء هم الذين تجذبهم الشهوات القوية بقوة نفوسهم البيهيمية حتى  
يرتكبونها ولا يرتدعوا عنها . وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون  
منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا بالظلمات اذا هموا بلذة تخصم . وهذا  
الحياء منهم هو الدليل على قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الذي يتظاهر به  
ويستحب اخراجه واذاعته . وهذا القبح ليس بشيء اكثر من النقائص  
اللازمة للبشر . وهي التي يشاققون الى ازلتها . واخشها هو انقصها . وانقصها  
احوجها الى الستر والدفن . ولو سألت القوم الذين يعظمون أمر اللذة  
ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكتفون الوصول الى اعظم الخيرات  
عندكم . وما بالكم تمدون موافقتها خيراً ثم تسترونها ؟ أترون سترها وكتانها  
فضيلة ومروءة وانسانية والمهاجرة بها واطهارها بين أهل الفضل وفي مجامع

الناس خساسة وحقّة؟ — لظهر من انقطاعهم وتبلد هم في الجواب ما تعلم به  
سوء مذهبهم وخبث سيرتهم . واقامهم حفا من الانسانية اذا رأى انسانا فاضلا  
احتشمه ووقره واحب ان يكون مثله إلا الشاذ منهم الذي يبلغ من خساسة  
الطبع ونزارة الانسانية ووقاحة الوجه الي ان يقيم على نصرة ما هو عليه من  
غير محبة لرتبة من هو افضل منه

### الواجب على العاقل

فاذا يجب على العاقل ان يعرف ما ابتلى به الانسان من هذه النقائص  
التي في جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتها وتكميلها \* اما بالغذاء الذي يحفظ  
به اعتدال مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله . ولا يطلب  
اللذة لعينها بل قوام الحياة التي تتبعه اللذة . فان تجاوز ذلك قليلا فبقدر ما يحفظ  
رتبته في مروءته . ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ومرتبته بين  
الناس \* وأما باللباس فالذي يدفع به أذى الحر والبرد ويستر العورة . فان تجاوز  
ذلك فبقدر مالا يستحقر ولا ينسب الى الشح على نفسه والى ان يسقط بين  
اقرانه واهل طبقتة \* واما بالجماع فالذي يحفظ نوعه وتبقى به صورته اعنى  
طلب النسل فان تجاوز ذلك فبقدر مالا يخرج به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه  
الى ما يملك غيره \* ثم يلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار انسانا وينظر الى  
النقائص التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده . فان هذه  
الخيرات هي التي لا تستر واذا وصل اليها لا يمنع عنها الحياء ولا يتوارى عنها  
بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها ابدأ بين الناس وفي المحافل . وهي التي يكون

بها بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض ويفذوا هذه النفس بغيرها الموافق لها المتم لتقصانها كما يفذو تلك بأغذيتها الملائمة لها . فان غذاء هذه هو العلم والزيادة في المعقولات والارتياض بالصدق في الآراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الكذب والباطل كيف كان ومن اين جاء . فمن اتفق له في الصبا ان يربي على ادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين . ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن إلا اليها ثم يتدرج ( كما رسمناه في كتابنا الموسوم بترتيب السعادات ومنزل المعلوم ) حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله تعالى على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة . ومن لم يتفق له ذلك في مبدأ نشوه ثم ابتلى بأن يريه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبايح ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرئ القيس والناطقة واشباغها ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقرونه على روايتها وقول مثلها ويجزلون له العطفية . وامتحن باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية . ومال طبعه الى الاستكثار من المطاعم والملابس والمراكب والزينة وارتباط الخيل الفره والعبيد الروقة ( كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ) ثم انهك فيها واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها — فليعد جميع ذلك شقاء لا نبيما وخسرانا لا ربحاً وليجتهد على التدرج الى فطام نفسه منها . وما اصعب ذلك إلا أنه على كل حال خير من التماذي في الباطل . وليعلم الناظر في هذا الكتاب اني خاصة



تدرجت الى فطام نفسى بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدتها جهاداً عظيماً .  
ورضيت لك أيها الفاحص عن الفضائل والطالب للادب الحقيقى بما رضيت  
لنفسى بل تجاوزت لك فى النصيحة الى أن أشرت عليك بما فاتنى فى ابتداء  
أمرى لتدركه انت . ودللتك على طريق النجاة قبل ان تنيه فى مفاوز الضلالة  
وقدمت لك السفينة قبل ان تفرق فى بحر المهالك . فإله الله فى نفوسكم معاشر  
الاخوان والاولاد . استسلموا للحق وتأدبوا بالادب الحقيقى لا المزور وخذوا  
الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم وتصوروا حالات انفسكم وتذكروا  
قواها . واعلموا ان أصح مثل ضرب لكم من نفوسكم الثلاث التى مرذكرها  
فى المقالة الاولى : مثل ثلاثة حيوانات مختلفة جمعت فى مكان واحد ملك وسبع  
وخنزير . فأياها غلب بقوته قوة الباقين كان الحكم له . وليعلم من تصور هذا  
المثال ان النفس لما كانت جوهرًا غير جسم ولا شئ فيها من قوى الجسم  
واعراضه كما بينا ذلك فى صدر هذا الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف  
اتحاد الاجسام واتصال بعضها ببعض

### النفوس الثلاث

وذلك ان هذه الأنفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئاً واحداً ومع انها  
تكون شيئاً واحداً فهى باقية التغاير وباقية القوى ثور الواحدة بعد الواحدة  
حتى كأنها لم تتصل بالآخرى ولم تتحد بها وتستجدى ايضاً الواحدة للآخرى  
حتى كأنها غير موجودة ولا قوة لها تفرد بها . وذلك أن اتحادها ليس بأن  
تتصل نهايتها ولا بأن تتلاقى سطوحها كما يكون ذلك فى الاجسام . بل تصير

في بعض الاحوال شيئاً واحداً وفي بعض الاحوال أشياء مختلفة بحسب ما تهيج قوة بعضها او تسكن . ولذلك قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى كثيرة . وقال آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض وبالموضوع . وهذا شيء يخرج الكلام فيه عن غرض الكتاب وسيمر بك في موضعه . وليس يضرك في هذا الوقت ان تعتقد أي هذه الآراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه كريمة ادبية بالطبع وبعضها مهينة عادمة للأدب بالطبع . وليس فيها استعداد لقبول الادب وبعضها عادمة للأدب الا انها تقبل التأديب وتقاد للتي هي ادبية . اما الكريمة الادبية بالطبع فالنفس الناطقة . وأما العادمة للأدب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية واما التي عدمت الادب ولكنها تقبله وتقاد له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله تعالى لنا هذه النفس خاصة لنستمع بها على تقويم البهيمية التي لا تقبل الادب . وقد شبه القدماء الانسان وحاله في هذه الانفس الثلاث بانسان راكب دابة قوية يتودكها او فهذا للقنص . فان كان الانسان من بينهم هو الذي يروض دابته وكابه يصرفها ويطيعانه في سيره وتصيده وسائر تصرفاته فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلاثة وحسن احواله . لأن الانسان يكون مرها في مطالبه يجرى فرسه حيث يحب وكما يحب ويطلق كلبه ايضاً كذلك . فاذا نزل واستراح اراحها معه واحسن القيام عليهما في المطعم والمشرب وكفاية الاعداء وغير ذلك من مصالحهما . واذا كانت البهيمية هي الغالبة ساءت حال الثلاثة وكان الانسان مضعوفاً عندهما فلم تطع فارسها وغلبت . فان رأت عسبا من بعيد عدت نحوه وتمسفت في عدوها وعدلت عن الطريق النهج فاعترضتها الاودية

والوهاد والشوك والشجر فتقحمها وتورطت فيها ولحق فارسها ما يلحق مثله في هذه الاحوال فيصيبهم جميعاً من انواع المكاره والاشراف على الهلكة مالا خفاء فيه

وكذلك ان قوى الكلب لم يطع صاحبه فان رأى من بعيد صيداً او ما يظنه صيدا اخذ نحوه فغذب الفارس وفرسه ولحق الجميع من الضرر والضر اضعاف ما ذكرناه . وفي تصور هذا المثل الذى ضربه القدماء تنبيه على حال هذه النفوس ودلالة على ما وهبه الله عز وجل للانسان ومكنه منه وعرضه له وما يضيعه بعضيان خالقه تعالى فيه عند اهمال السياسة واتباعه امر هاتين القوتين وتعبد لهما وهما اللذان ينبغى ان يتبعاه بتأمره عليهما . فمن أسوأ حالا ممن اهمل سياسة الله عز وجل وضيع نعمته عليه وترك هذه القوى فيه هائجة مضطربة تغالب . وصار الرئيس منها مرؤوساً والملك منها مستعبدا يتقلب معها في المهالك حتى تتمزق ويتمزق معها هو أيضاً . نعوذ بالله من الانتكاس في الخلق الذى سببه طاعة الشيطان واتباع الابالسة فليست الاشارة بها الى غير هذه القوى التى وصفناها ووصفنا احوالها . نسأل الله عصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى تنتهى فيها الى طاعة الله التى هى نهاية مصالحنا وبها نجاتنا وخلصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمدى

### سياسة النفس العاقلة

وقد شبه الحكماء من اهمل سياسة نفسه العاقلة وترك سلطان الشهوة يستولى عليها برجل معه ياقوتة حمراء شريفة لا قيمة لها من الذهب والفضة

جلاله ونفاسه. وكان بين يديه نار تضطرم فرماها في جباحبها حتى صارت كاساً  
 لا منفعة فيها نقسرت تخسر ضروب منافعها. فقد علمنا الآن ان النفس العاقلة  
 اذا عرفت شرف نفسها واحست بمرتبتها من الله عز وجل احسنت خلافته  
 في تربية هذه القوى وسياستها ونهضت بالقوة التي اعطاها الله تعالى الى محلها  
 من كرامة الله تعالى ومنزلتها من العلو والشرف ولم تخضع للسبعية ولا للبهيمية.  
 بل تقوم النفس الغضبية التي سميناها سبعية وتودعها الى الادب بحملها على  
 حسن طاعتها. ثم تستنهضها في اوقات عيجان هذه النفس البهيمية وحركتها  
 الى الشهوات حتى يقمع بهذه سلطان تلك وتستخدمها في تأديتها وتستعين بقوة  
 هذه على تأني تلك. وذلك ان هذه النفس الغضبية قابلة للادب قوية على قمع  
 الأخرى كما قلنا. وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له. وأما النفس  
 الناطقة اعني العاقلة فهي كما قال افلاطون بهذه الانفاظ: أما هذه فبمنزلة  
 الذهب في اللين والانعطاف. وأما تلك فبمنزلة الحديد في الصلابة والامتناع  
 فان أنت آثرت العمل الجميل في وقت وجاذبتك القوة الاخرى الى اللذة والى  
 خلاف ما آثرت فاستعن بقوة الغضب التي تثير وتهيج بالانفة والحمية وأقهر  
 بها النفس البهيمية. فان غلبتك مع ذلك ثم ندمت وانفت فانت في طريق  
 الصلاح فتم عزيمتك واحذر أن تماودك بالطمع فيك والغلبة لك. فان لم  
 تفعل ذلك ولم تكن المقبي في الغلبة لك كنت كما قال الحكيم الاول: اني  
 أرى أكثر الناس يدعون محبة الافعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤنة فيها على  
 علمهم بفضائها فيغلبهم الترفه ومحبة البطالة. فلا يكون بينهم وبين من لا يجب  
 الافعال الجميلة فرق اذا لم يحتملوا مؤنة الصبر ويصبروا الى تعلم تمام ما آثروه

وعرفوا فضله . واذكر مثل البئر التي تردى فيها الاعمى والبصير فيكونان في  
 الهلكة سواء إلا أن الاعمى أعذر . ومن وصل من هذه الآداب الى مرتبة  
 يعتمد بها واكتسب بها الفضائل التي عددناها فقد وجب عليه تأديب غيره  
 وافاضة ما أعطاه الله على أبناء جنسه

### فصل

( في تأديب الاحداث والصبيان خاصة نقلت أكثره من كتاب بروسن )

قد قلنا فيما تقدم ان أول قوة تظهر في الانسان وأول ما يتكون هي  
 القوة التي يشواق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حياً فيتحرك بالطبع الى اللبن  
 ياتمه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف أو يحدث له مع  
 ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي يدل به على اللذة  
 والأذى . ثم تزايد فيه هذه القوة ويشوق بها أبدأ الى الازدياد والتصرف  
 بها في أنواع الشهوات . ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات  
 التي تخلق له الشوق الى الافعال التي تحصل له هذه . ثم يحدث له من الحوس  
 قوة على تخيل الأمور ويرسم في قوته الخيالية مثالات فيتشوق اليها ثم  
 تظهر فيه قوة الغضب التي يشواق بها الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يئتمه من  
 منافعه . فان اطاق بنفسه ان ينتقم من مؤذياته انتم منها والا التمس معونة  
 غيره وانتصر بوالديه بلتصوبت والبكاء . ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال  
 الانسانية خاصة أولاً واولاً حتى يصير الى كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ  
 عاقلاً . وهذه القوى كثيرة وبعضها ضروري في وجود الاخرى الى ان

ينتهي الى الغاية الاخيرة . وهي التي لاتراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق  
 الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان . فأول ما يحدث فيه من هذه  
 القوة الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه . ولذلك قلنا اول ما ينبغي  
 ان يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله . الحياء فانه يدل على انه قد احس  
 بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه . فاذا  
 نظرت الى الصبي فوجدته مستحيياً مطرقاً بطرفه الى الارض غير وقاح الوجه  
 ولا محقق اليك فهو اول دليل نجاته والشاهد لك على ان نفسه قد احست  
 بالجميل والقبيح . وان حياءه هو انحصار نفسه خوفاً من قبيح يظهر منه وهذا  
 ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والمهرب من القبيح بالتمييز والعقل . وهذه  
 النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك ومخالطة  
 الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة . وان كانت بهذه الحال من  
 الاستعداد لقبول الفضيلة فان نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد بصورة  
 وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء الى شيء فاذا نقشت بصورة وقبلتها  
 نشأ عليها واعتمدها . فالاولى بمثل هذه النفس ان تلبه ابداء على حب الكرامة  
 ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال وبلزوم سننه ووظائفه . ثم يمدح  
 الاخيار عنده ويمدح هو في نفسه اذا ظهر شيء جميل منه ويخوف من المذمة  
 على ادنى قبيح يظهر منه ويؤخذ باشتهاهه للماكل والمشارب والملابس الفاخرة  
 ويزين عنده خلق النفس والترفع عن الحرص في الماكل خاصة وفي اللذات  
 عامة . ويجب اليه ايثار غيره على نفسه بالغذاء والاقتصار على الشيء المعتدل  
 والاقتصاد في التماسه .

### ✽ الملابس ✽

ويعلم ان اولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاتي يتزين  
للرجال ثم العبيد والخول . وان الاحسن باهل النبل والشرف من اللباس  
البياض وما اشبهه حتى يتربى على ذلك ويسمعه كل من يقرب منه ويتكرر  
عليه ولم يترك مخالطة من يسمع منه ضد ما ذكرته لاسيما من آراهه ومن  
كان في مثل سنه ممن يعاشره ويلاعبه . وذلك ان الصبي في ابتداء نشوه  
يكون على الأكثر قبيح الافعال اما كلها واما اكثرها فانه يكون كذوبا ويخبر  
ويحكي ما لم يسمعه ولم يره ويكون حسودا سروقا تماما لجوجا ذا فضول اضر  
شيء بنفسه وبكل امر يلابسه . ثم لا يزال به التأديب والسنن والتجار حتى  
ينتقل في احوال بعد احوال . فلذلك ينبغي ان يؤخذ مادام طفلا بما ذكرناه  
وبذكرة . ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجرى مجرى ما تعوده  
بالادب حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمناه ويحذر  
النظر في الاشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق واهله وما يوهمه اصحابها  
انه ضرب من الظرف ورقة الطبع . فان هذا الباب مفسدة للاحداث جدا .  
ثم يمدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه . فان خالف  
في بعض الاوقات ما ذكرته فالاولى ان لا يوبخ عليه ولا يكشف بانه اقدم  
عليه بل يتعاقل عنه تعاقل من لا يخطر بباله انه قد تجاسر على مثله ولا هم به  
لا سيما ان ستره الصبي واجتهده في ان يخفي ما فعله عن الناس فان عاد فليوبخ  
عليه سرا وليعظم عنده ما اناه . ويحذر من معاودته فانك ان عودته التوبيخ

والمكاشفة حملته على الوقاحة وحرصته على معاودة ما كان استقبه وهان عليه  
سماع الملامة في ركوب قبائح اللذات التي تدعو إليها نفسه وهذه اللذات  
كثيرة جداً

### آداب المطاعم

والذي ينبغي ان يبدأ به في تقويمها آداب المطاعم فيفهم اولاً أنها انما تراد  
للصحة لا للذة . وان الاغذية كلها انما خلقت وأعدت لنا لتصح بها ابداننا  
وتصير مادة حياتنا . فهي تجرى مجرى الادوية ليتداوى بها الجوع والالم  
الحادث منه . فكما ان الدواء لا يرام للذة ولا يستكثر منه للشهوة فكذلك  
الاطعمة لا ينبغي ان يتناول منها الا ما يحفظ صحة البدن ويدفع ألم الجوع ويمنع  
من المرض . فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه اهل الشره ويقبح عنده  
صورة من شره اليه وينال منه فوق حاجة بدنه أو ما لا يوافق حتى يقتصر على  
لون واحد . ولا يرغب في الالوان الكثيرة . واذا جلس مع غيره لا يبادر  
الي الطعام ولا يديم النظر الي الوانه ولا يحدق اليه شديداً . ويقتصر على ما يليه  
ولا يسرع في الاكل ولا يوالى بين اللقم بسرعة . ولا يعظم اللقمة ولا يتلعها  
حتى يجيد مضغها . ولا يلمس يده ولا ثوبه ولا يحفظ من يؤاكله ولا يتبع  
بنظره مواقع يده من الطعام . ويعود ان يؤثر غيره بما يليه ان كان افضل  
ما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه . ويأكل الخبز  
القفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة  
بالفقراء فهي بالاغنياء افضل واجمل . وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشى فان



استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم وتبد فهمه مع ذلك . وان منع اللحم في اوقاته كان انفع له وقما في الحركة والتيقظ وقلة البلادة وبمته على النشاط والخفة . واما الحلواء والفاكهة فينبغي ان يمتنع منها ألبتة ان امكن . والا فليتناول اقل ما يمكن فانها تستحيل في بدنه فتكثر انحلاله وتعوده مع ذلك على الشره ومحبة الاستكثار من الماء كل . ويعود ان لا يشرب في خلال طعامه الماء . فاما النبيذ وأصناف الاشربة المسكرة فايها واياها فانها تضره في بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح والقحة وسائر الخلال المدمومة

—  
 ❦ آداب متنوعة ❦

ولا ينبغي ان يحضر مجالس أهل الشرب الا ان يكون أهل المجلس أدباء فضلاء . وأما غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجرى فيه . وينبغي ان لا يأكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي يتعلمها ويتعب تعباً كافياً . وينبغي ان يمنع من كل فعل يستره . ويخفيه . فانه ليس يخفى شيئاً الا وهو يظن أو يعلم انه قبيح . ويمنع من النوم الكثير فانه يقبحه ويغلاظ ذهنه ويميت خاطره . هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعوده ألبتة . ويمنع أيضاً من الفراش الوطيء وجميع أنواع الترفه حتى يصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا يتعود الخيش والاسراب في الصيف ولا الاوبار والنيران في الشتاء للاسباب التي ذكرناها . ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها . ويعود ان لا يكشف أطرافه ولا يسرع في المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما

الى صدره ولا يربى شعره . ولا يزين بملابس النساء ولا يلبس خاتماً إلا وقت حاجته اليه . ولا يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه من مآكله وملابسه وما يجرى مجراه ولا يشين بل يتواضع لكل احد ويكرم كل من عاشره . ولا يتوصل بشرف ان كان له او سلطان من اهله ان انفق الى غضب من هو دونه او استهداء من لا يمكنه ان يرده عن هواه او تطاوله عليه . كمن انفق له ان كان خاله وزيراً او عمه سلطاناً فتطرق به الى هزيمة اقرانه وثلم اخوانه واستباحة اموال جيرانه ومعارفه . وينبني ان يعود ان لا يبصق في مجالسه ولا يتمخط ولا يتكلم بمحضرة غيره . ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمد رأسه بيده . فان هذا دليل الكسل وانه قد بلغ به التقيح الى ان لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده . ويعود ان لا يكذب ولا يحلف ألبته لا صادقاً ولا كاذباً . فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فأما الصبي فلا حاجة به الى اليمين . ويعود أيضاً قلة الكلام فلا يتكلم إلا جواباً . واذا حضر من هو اكبر منه اشتغل بالاستماع منه والصمت له . ويمنع من خيث الكلام وهجينه ومن السب واللعن ولغو القول . ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكرمه ولا يرخص له ان يستمع لاضدادها من غيره . ويعود خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه

وأحوج الصبيان الى هذا الادب أولاد الاغنياء والمترفين . وينبني اذا ضربه المعلم أن لا يصرخ ولا يستشفع بأحد فان هذا فعل المالك ومن هو خوار ضعيف . ولا يدير أحداً إلا بالقبيح والسيء من الادب . ويعود أن لا

يوحش الصبيان . بل يبرهم ويكافهم على الجميل بأكثر منه لئلا يتعود الربح على  
 الصبيان وعلى الصديق . ويبغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما أكثر من  
 تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي . فان حب الفضة والذهب آفته  
 أكثر من آفات السموم . وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات أن يلعب لعباً  
 جميلاً ليستريح اليه من تعب الادب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد .  
 ويعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم  
 ويهابهم . وهذه الآداب النافعة للصبيان هي للكبار من الناس أيضاً نافعة  
 ولكنها للاحداث أنفع لأنها تعودهم بحبة الفضائل وينشأون عليها فلا يشغل  
 عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم بمد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحمده  
 الشريعة والسنة . ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة  
 وتكفهم عن الانهماك في شيء منها والعكر الكثير فيها . وتسوقهم الى مرتبة  
 الفلسفة العالية وترقيهم الى معاني الامور التي وصفناها في أول الكتاب من  
 التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا وطيب  
 العيش وجميل الأحداث وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من  
 الفضلاء خاصة . فاذا تجاوز هذه الرتبة وبلغ أيامه الى أن يفهم أغراض  
 الناس وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها  
 الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعييد والخيل والفرش  
 وأشباه ذلك إنما هو لترفيه البدن وحفظ صحته . وان يبقى على اعتدال مدة ما .  
 وان لا يقع في الاعراض ولا تفجأه المنية . وان يهنا بنعمة الله عليه ويستعد  
 لدار البقاء والحيوة السرمدية . وان اللذات كلها في الحقيقة هي خلاص

من آلام وراحات من تعب . فاذا عرف ذلك وتحققه ثم تعود بالسيره الدائمة  
وعود الرياضات التي تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتبني الكسل  
وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتذكي النفس . فمن كان ممولاً مترفا كانت هذه  
الاشياء التي رسمها أصعب عليه لكثرة من يحتف به ويفويه ولموافقة طبيعة  
الانسان في اول ما تنشأ هذه اللذات واجماع جمهور الناس على نيل ما أمكنهم  
منها وطلب ما تعذر عليهم بغاية جهدهم . فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم  
قريبون الى الفضائل قادرون عليها متمكنون من نيلها والاصابة منها . وحال  
المتوسطين من الناس متوسطة بين هاتين الحالتين . وقد كان ملوك الفرس  
الفضلاء لا يربون أولادهم بين حشهم وخواصهم خوفاً عليهم من الاحوال  
التي ذكرناها ومن سماع ما حذرت منه . وكانوا ينفذونهم مع ثقاتهم الى  
النواحي البعيدة منهم . وكان يتولى تربيتهم أهل الجفاء وخشونة العيش ومن  
لا يعرف التمتع ولا الترفه وأخبارهم في ذلك مشهورة . وكثير من رؤسائهم  
في زماننا هذا ينقلون أولادهم عند ما ينشأون الى بلادهم ليعودوا بها هذه  
الاخلاق ويبعدوا عن عادات أهل البلدان الرديئة . واذ قد عرفت هذه  
الطرق المحمودة في تأديب الأحداث فقد عرفت أضرارها . أعني ان من  
نشأ على خلاف هذا المذهب من التأديب لم يرج فلاحه ولا ينبغي ان يشتغل  
بصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشي الذي لا يطعم في رياضته  
فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي منهمكة في  
مطالبها من النزوات . وكما انه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم الوحشية التي  
لا تقبل التأديب كذلك لا سبيل الى رياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها

وأمن قليلا في السن . اللهم إلا أن يكون في جميع احواله عالما بقبح سيرته  
 ذامها عاباً على نفسه عازماً على الاقلاع والانابة . فان مثل هذا الانسان  
 من يرجي له النزوع عن أخلاقه بالتدرج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة  
 وبمصاحبة الاخيار وأهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف . واذا قد ذكرنا  
 اخلق المحمود وما ينبغي أن يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون  
 جميع القوى التي تحدث للحيوان أولاً أولاً الى أن ينتهي الى اقصى الكمال  
 في الانسانية فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتبتيدي على الترتيب الطبيعي  
 في تقويم واحد منها فنقول :

### الاجسام الطبيعية

ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعما ثم تتفاضل بقبول  
 الآثار الشريفة والصور التي تحدث فيها . فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة  
 عند الناس صار بها أفضل من الطينة الاولى التي لا تقبل تلك الصورة . فاذا  
 بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة أفضل من الجماد .  
 وتلك الزيادة هي الاغتذاء والنمو والامتداد في الاقطار واجتذاب ما يوافقه  
 من الارض والماء وترك ما لا يوافقه ونفض الفضلات التي تتولد فيه من  
 غذائه عن جسمه بالصموغ . وهذه الاشياء التي ينصل بها النبات من الجماد .  
 وهي حال زائدة على الجسمية التي حددناها وكانت حاصلة في الجماد .  
 وهذه الحالة الزائدة في النبات التي شرف بها على الجماد تتفاضل : وذلك ان  
 بعضه يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه . ثم يتدرج فيها فيحصل

له من هذه الزيادة شئ بعد شئ ، فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر والبزر . ويكفيه في حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس فلذلك هو في أفق الجمادات وقريب الحال منها . ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بمضه على بعض بنظام وترتيب حتى تظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبزر الذي يخلف به مثله فتصير هذه الحالة زائدة فيه ومميزة له عن حال ما قبله . ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول . ولا يزال يشرف ويفضل بمضه على بعض حتى يبلغ الى أفقه ويصير في أفق الحيوان . وهي كرام الشجر كالزيتون والرمان والكرم وأصناف الفواكه . إلا أنها بعد مختلطة القوى أعني أن قوى ذكورها واناثها غير متميزة فهي تحمل وتلد المثل ولم تبلغ غاية أفقها الذي يتصل بأفق الحيوان . ثم تزداد وتمن في هذا الافق الى أن تصير في أفق الحيوان فلا تحتل زيادة . وذلك أنها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيواناً وخرجت عن أفق النبات . فحينئذ تتميز قواها ويحصل فيها ذكورة وانوثة وتقبل من فضائل الحيوان أموراً تتميز بها عن سائر النبات والشجر كالنخل الذي طالع أفق الحيوان بالخواص العشر المذكورة في مواضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان إلا مرتبة واحدة وهي الانتقال من الارض والسعي الى الغذاء . وقد روى في الخبر ما هو كالأشارة أو كالمزى الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « اكرموا عماتكم النخل فلنما خلقت من بقية طينة آدم » فاذا تحرك النبات وانقلع من أفقه وسعى الى غذائه ولم يتقيد في موضعه الى أن يصير اليه غذاؤه وكونت له آلات أخرى يتناول بها حاجاته التي تكمله فقد صار حيواناً .

وهذه الآلات تتزايد في الحيوان من أول أفقه وتتفاضل فيه فيشرف فيه بعضها على بعض كما كان ذلك في النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى تظهر فيه قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بوصوله الى منافه ويتألم بوصول مضارده اليه . ثم يقبل الهام الله عز وجل إياه فيهتدى الى مصالحه فيطلبها والى اضداده فيهرب منها . وما كان من الحيوان في أول أفق النبات فإنه لا يتزاوج ولا يخلف المثل بل يتوالد كالديدان والذباب وأصناف الحشرات الخسيسة . ثم يتزايد فيه قبول الفضيلة كما كان في النبات سواء . ثم تحدث فيه قوة الغضب التي ينهض بها الى دفع ما يؤذيه فيعطى من السلاح بحسب قوته وما يطيق استعماله . فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه تاماً قوياً . وان كانت ناقصة كان ناقصاً وان كانت ضعيفة جداً لم يعط سلاحاً البتة بل أعطى آلة الحرب كشدة العدو والقدرة على الحيل التي تنجيه من مخاوفه . وأنت ترى ذلك عياناً من الحيوان الذي أعطى القرون التي تجرى له مجرى الرماح . والذي أعطى الاياب والمخالب التي تجرى له مجرى السكاكين والخناجر . والذي أعطى آلة الرمي التي تجرى له مجرى النبل والنشاب . والذي أعطى الحوافر التي تجرى له مجرى الدبوس والطبرزين . فأما ما لم يعط سلاحاً لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولأنه لو أعطيه لصار كلاً عليه فقد أعطى آلة الحرب والحيل بمجودة العدو والخفة والختل والمراعة كالارانب وأشباهاها . واذا تصفحت أحوال الموجودات من السباع والوحش والطيور رأيت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله أحسن الخالقين لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين \* فأما الانسان فقد عوض من





على الترقى والامعان في هذه الرتبة كما كان ذلك في المراتب الاخرى التي ذكرناها \* وأول هذه المراتب من الافق الانساني المتصل بآخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصى المعمورة من الشمال والجنوب كأواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج وأواخر الزنج وأشباهم من الامم التي لا تميز عن القروذ إلا بمرتبة يسيره . ثم تزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل والى هذا الموضع ينتهى فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات . ثم يستعد بهذا القبول لاكتساب الفضائل واقتنائها بالارادة والسعى والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى آخر أفقه فاذا صار الى آخر أفقه اتصل بأول أفق الملائكة وهذا أعلى مرتبة الانسان وعندها تتأحد الموجودات ويتصل أولها بآخرها . وهو الذي يسمى دائرة الوجود لأن الدائرة هي التي قيل في حدها إنها خط واحد يبتدىء بالحركة من نقطة وينتهى اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتأحدة التي جعلت الكثرة وحدة . وهي التي تدل دلالة صادقة برهانية على موجدها وحكمته وقدرته ووجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس ذكره . ولولا أن شرح هذا الموضوع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق لشرحته وأنت تقف عليه ان بلغت هذه الرتبة بمشيئة الله . واذا تصورت قدر ما أومأنا اليه وفهمته اطلمت على الآلة التي خلقت وندبت اليها وعرفت الافق الذي يتصل بأفئك وتنقلك في مرتبة بعد مرتبة وركوبك طبقاً عن طبق وحدث لك الايمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء وبلغت ان تدرج الى العلوم الشريفة المكونة التي مبدؤها تعلم المنطق فانه الآلة في تقويم

الفهم والعقل الغريزي . ثم الوصول به الى معرفة الخلائق وطباعتها ثم التعلق  
بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحينئذ تستعد لقبول مواهب  
الله عز وجل وعطاياه فيأتيك الفيض الالهي فتسكن عن قلق الطبيعة وحركاتها  
نحو الشهوات الحيوانية وتلاحظ المرتبة التي ترقيت فيها أولاً فأولاً من مراتب  
الموجودات . وعلمت ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها في وجودها  
وعلمت ان الانسان لا يتم له كماله إلا بعد أن يحصل له ما قبله . واذا صار  
انساناً كاملاً وبلغ غاية افقه اشرق نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيماً تاماً  
تأتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكيمة والتأييدات العلووية  
في التصويرات العقلية واما نبياً مؤيداً يأتيه الوحي على ضروب المنازل التي  
تكون له عند الله تعالى ذكره . فيكون حينئذ واسطة بين الملائة الأعلى والملائة  
الاسفل . وذلك بتصوره حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من  
حال الانسية ومطالعة الآفاق التي ذكرناها . وحينئذ يفهم عن الله عز وجل  
قوله ( فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ) وتصور معنى قوله صلى الله عليه  
وسلم ( هناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) واذا  
بلغ الكلام الى ذكر هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها ونسقنا  
احواله التي يترقى فيها وانه يكون أولاً بالشوق الى المعارف والعلوم فينبغي  
أن نزيد في بيانه وشرحه فنقول :

— الشوق الى المعارف والعلوم —

ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهج قويم وقصد صحيح حتى ينتهي الى غاية كماله وهي سعادته التامة . وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمات والسنن وذلك لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الآن وأنت في تهذيب خلتك . فكما ان الطبيعة المدبرة للاجسام وربما شوقت الى ما ليس بتمام للجسم الطبيعي لعل تحدث به وآفات تطرأ عليه بمنزلة من يشاق الى اكل الطين وما جرى مجراه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده . كذلك أيضاً النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتمييز الذي لا يكملها ولا يشوقها نحو سعادتها بل يحركها الى الاشياء التي تعوقها وتقصر بها عن كمالها فحينئذ يحتاج الى علاج نفساني روحاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني . ولذلك تكثر حاجات الناس الى المقومين والمنفعين والى المؤدبين والمسددين . فان وجود تلك الطبائع الفائقة التي تنساق بذاتها من غير توفيق الى السعادة عسرة الوجود ولا توجد الا في الأزمنة الطوال والمدد البعيدة . وهذا الأدب الحق الذي يؤدينا الى غايتنا يجب ان تلحظ فيه المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم يتبدى من اسفل على طريق التركيب فيسلك فيها الى أن ينتهي الى الغاية التي لحظت اولاً . وهذا المعنى هو الذي احوجتنا في مبدأ هذا الكتاب وفي فصول اخر منه أن نذكر اشياء عالية لاتليق بهذه الصناعة ليتشوق اليها من يستحقها . وليس يمكن الانسان أن يشاق الى ما لا يعرفه

ألبته . فاذا لحظها من فيه قبول لها وعناية بها عرفها بعض المعرفة فتشوقها  
وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها . وينبغي ان يعلم ان كل انسان معد  
نحو فضيلة ما فهو اليها أقرب وبالوصول اليها أخرى . ولذلك لا تصير سعادة  
الواحد من الناس غير سعادة الآخر الا من اتفق له نفس صافية وطبيعة  
فأثقة فينتهي الى غايات الامور والى غاية غاياتها اعني السعادة القصوى التي  
لا سعادة بعدها

### الواجب على الحاكم

ولاجل ذلك يجب على مدير المدن أن يسوق كل انسان نحو سعادته  
التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين : أحدهما في تسديد  
الناس وتقومهم بالعلوم الفكرية . والاخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال  
الحسية . واذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الاخيرة على  
طريق التحليل ووقف بهم عند القوي التي ذكرناها . واذا سددهم نحو السعادة  
العملية بدأ بهم من عند هذه القوي وانتهى بهم الى تلك الغاية . ولما كان غرضنا  
في هذا الكتاب السعادة الخلقية وان تصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا  
في صدر الكتاب وعملناه لمحي الفلسفة خاصة لا للعوام وكان النظر بتقديم العمل .  
وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية لتلحظ الغاية الاخيرة ثم  
تطلب بالافعال الارادية التي ذكرنا جملها في المقالة الاولى . وارسطو طاليس  
انما بدأ كتابه بهذا الموضوع وافتتحه بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق .  
ونحن نذكر ما قاله وتبعه بما اخذناه أيضا عنه في مواضع اخر ليجتمع ما فرقه

ونضيف الى ذلك ما أخذناه عن مفسري كتبه المنقليين لحكمته نحو استطاعتنا  
والله الموفق المؤيد فان الخير بيده وهو حسبنا ونعم الوكيل

المقالة الثالثة



« الخير والسعادة »

نبدأ بمعونة الله تعالى في هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة  
بعد ان نذكر ألفاظ ارسطوطا ليس اقتداء به وتوفية لحقه فنقول : ان الخير  
على ما حده واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية  
الاخيرة . وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية خيرا . فاما السعادة فهي الخير  
بالإضافة الى صاحبها وهي كمال له . فالسعادة اذا خير ما وقد تكون سعادة  
الانسان غير سعادة الفرس وسعادة كل شيء في تمامه وكمال الذي يخصه . فاما  
الخير الذي يقصده الكل بالشوق فهو طبيعة تقصد ولها ذات وهو الخير العام  
للناس من حيث هم ناس فيهم باجمعهم مشتركون فيها . فاما السعادة فهي خير  
مالواحد واحد من الناس فهي اذاً بالإضافة ليست لها ذات معينة وهي تختلف  
بالإضافة الى قاصديها . فلذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه . وقد يظن  
بالسعادة أنها تكون لغير الناطقين . فان كان ذلك فانما هي استعدادات فيها  
لقبول تماماتها وكمالها من غير قصد ولا روية ولا ارادة وتلك الاستعدادات  
هي الشوق او مايجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة . فاما ما يتأني  
للحيوانات في ماأكلها ومشاربها وراحاتها فينبغي ان يسمى بخنثا او اتفاقا ولا  
يؤهل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان أيضا . وانما استحسن الحد الذي

ذكرنا للخير المطلق لان العقل لا يطلق السعى والحركة إلا الى نهاية وهذا اول في العقل . ومثال ذلك ان الصناعات والهمم والتدابير الاختيارية كلها يقصد بها خير ما ومالم يقصد به خير ما فهو عبث والعقل يحظره ويمنع منه وبالواجب صار الخير المطلق هو المقصود اليه من كل الناس . ولكن بقي ان يعلم ما هو وما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي ترتقي الخيرات كلها اليها حتي نجعله غرضنا ونوجه اليه ولا نلفت الى غيره ولا تنتشر افكارنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليه اما تأدية بعيدة واما تأدية قريبة ولا نغلط ايضا فيما ليس بخير فنظنه خيرا ثم نفني اعمالنا في طلبه والتعب به وكلا سنيينه بمشيئة الله وعونه

### — أقسام الخير —

الخير على ما قسمه ارسطوطا ليس وحكاه عنه قرقوريوس وغيره قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك وما هي نافعة فيها ( فالشريفة منها هي التي شرفها من ذاتها وتجعل من اقتناها شريفاً وهي الحكمة والعقل ( والممدوحة منها مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية والتي هي بالقوة ) مثل التهيء والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت والنافعة هي جميع الاشياء التي تطلب لا لذاتها بل ليتوصل بها الى الخيرات ( وعلى جهة اخرى ) الخيرات منها ما هي غايات ومنها ما ليست بغايات والغايات منها ما هي تامة ومنها ما هي غير تامة . فالتى هي تامة كالسعادة . وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتاج ان نستزيد اليها بشيء آخر . والتي هي غير تامة فكالصحة

واليسار من قبيل انا اذا وصلنا اليها احتجنا ان نستزيد فنقتني اشياء اخر. وأما التي ليست بغاية البتة فكالعلاج والتعلم والرياضة (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما هو مؤثر للامر بن جميعا ومنها ما هو خارج عنهما (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق ومنها ما هو خير عند الضرورة والاتفاقات التي تتفق لبعض الناس وفي وقت دون وقت. وايضاً منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر المقولات كالتقوى والملكات. ومنها كالاحوال ومنها كالأفعال ومنها كالغايات ومنها كالمواد. ومنها كالألات ووجود الخيرات في المقولات كلها يكون على هذا المثال. اما في الجوهر اعنى ما ليس بعرض فالله تبارك وتعالى هو الخير الاول فان جميع الاشياء تتحرك نحوه بالشوق اليه ولان مال الخيرات الالهية من البقاء والسرمدية والتمام منه. واما في الكمية فالعدد المعتدل والمقدار المعتدل واما في الكيفية فكالذات واما في الاضافة فكالصدقات والرياسات واما في الاين والتمتت فكالمكان المعتدل والزمان الاينى البهيج. واما في الموضع فكالتعود والاضطجاع والاتكاء الموافق. واما في الملك فكالاموال والمنافع واما في الانفعال فكالسمع الطيب وسائر المحسوسات المؤثرة واما في الفعل فكتنفيذ الامر ورواج الفعل (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها معقولات ومنها محسوسات

✧ السعادة ✧

وأما السعادة فقد قلنا انها خير ما وهى تمام الخيرات وغاياتها والتمام هو الذى اذا بلغنا اليه لم نحتاج معه الى شىء آخر فلذلك نقول : ان السعادة هى أفضل الخيرات ولكننا نحتاج فى هذا التمام الذى هو الغاية القصوى الى سعادات أخرى وهى التى فى البدن والتي خارج البدن (وارسطو طاليس) يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء وجودة البخت . قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك فى اظهار شرفها . قال ولهذا قلنا ان كان شىء عطية من الله تعالى وموهبة للناس فهو السعادة لانها عطية منه عز اسمه وموهبة فى اشرف منازل الخيرات وفى أعلى مراتبها وهو خاصة بالانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتمام كالصبيان ومن يجرى مجرام . وأما أقسام السعادة على مذهب هذا الحكيم فهى خمسة أقسام . أحدها فى صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعنى ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس . والثانى فى الثروة والاعوان وأشباههما حتى يتسع لأن يضع المال فى موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسى منه أهل الخيرات خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يزيد فى فضائله ويستحق الثناء والمدح عليه . والثالث ان تحسن احدوثه فى الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل فيكون ممدوحاً بينهم ويكثرون الثناء عليه لما يتصرف فيه من الاحسان والمعروف . والرابع ان يكون منجحاً فى الامور وذلك اذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه حتى



يصير الى ما يأمله منه . والخامس ان يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم  
 الاعتقادات في دينه وغير دينه بريئاً من الخطأ والزلل جيد المشورة في الآراء .  
 فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل  
 الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظّه من السعادة بحسب ذلك . وأما  
 الحكماء قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وبقراط وأفلاطون وأشباههم فانهم  
 أجمعوا على ان الفضائل والسعادة كلها في النفس وحدها . ولذلك لما قسموا  
 السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في أول الكتاب ( وهي  
 الحكمة والشجاعة والعبادة والعدل ) وأجمعوا على ان هذه الفضائل هي كافية  
 في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها من فضائل البدن ولا ما هو خارج البدن  
 فان الانسان اذا حصل تلك الفضائل لم يضره في سعاده ان يكون سقيماً  
 ناقص الاعضاء مبتلي بجميع أمراض البدن : اللهم إلا ان يلحق النفس منها  
 مضرة في خاص أفعالها مثل فساد العقل ورداءة الذهن وما أشبههما . وأما  
 الفقر والخمول وسقوط الحال وسائر الاشياء الخارجة عنها فليست عندهم بقادحة  
 في السعادة ألبتة . وأما الروافيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن  
 جزءاً من الانسان ولم يجعلوه آلة كما شرحناه فيما تقدم . فلذلك اضطروا الى ان  
 يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو  
 خارج البدن أيضاً أعني الاشياء التي تكون بالبخت والجد . والمحققون من  
 الفلاسفة يحقرون أمر البخت وكل ما يكون به ومعه ولا يؤهلون تلك  
 الاشياء لاسم السعادة لأن السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي  
 أشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يجعلون لاحسن الاشياء وهو الذي يتغير

اي فساد  
 اطلاق  
 صادم  
 اقول  
 حذره

الى الفلاسفة  
 في امر البخت



في هذه السعادة الانسانية وأنها قد اشككت عليهم اشكالا شديداً احتاج أن  
يتعب في الابانة عنها واطالة الكلام فيها. وذلك ان الفقير يرى ان السعادة  
العظمى في الثروة واليسار. والمريض يرى انها في الصحة والسلامة. والذليل  
يرى أنها في الجاه والسلطان. والخليع يرى انها في التمكن من الشهوات كلها  
على اختلافها والعاشق يرى انها في الظفر بالمعشوق. والفاضل يرى أنها في  
افاضة المعروف على المستحقين. والفيلسوف يرى أن هذه كلها اذا كانت  
مرتبة بحسب تقسيط العدل أعنى عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما  
يجب وعند من يجب. فهي سعادات كلها وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك  
الشيء أحق باسم السعادة ولما كانت كل واحدة من هاتين الفرقتين نظرت  
نظراً ما وجب أن نقول في ذلك ما نراه صواباً وجامعاً للرأيين فنقول

### رأى المؤلف في السعادة

ان الانسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التي تسمى  
ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما فهو بالخير  
الجسماني الذي يناسب به الانعام مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره  
وينظمه ويرتبه. حتى اذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل الى العالم العلوي  
واقام فيه دائماً سرمداً في صحبة الملائكة والارواح الطيبة وينبغي أن يفهم  
من قولنا العالم السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيما تقدم. فانا قد قلنا هناك  
انا لسنا نعنى بالعلوي المكان الاعلى في الحس ولا بالسفلي المكان  
الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو أسفل وان كان محسوساً في المكان

الأعلى . وكل معقول فهو أعلى وان كان معقولا في المكان الاسفل وينبغي ان يعلم انه لا يحتاج في صحة الارواح الطيبة المستغنية عن الابدان الى شيء من السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعني المعقولات الابدية التي هي الحكمة فقط . فاذا ما دام الانسان انساناً فلا تتم له السعادة إلا بتحصيل الحالين جميعاً وليس يحصلان على التمام إلا بالاشياء النافعة في الوصول الى الحكمة الابدية . فالسعيد اذاً من الناس يكون في إحدى مرتبتين . إما في مرتبة الاشياء الجسمية متعلقاً بأحوالها السفلى سعيداً بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثاً عنها مشتاقاً اليها متحرراً نحوها مغتبطاً بها . وإما ان يكون في رتبة الاشياء الروحية متعلقاً بأحوالها العليا سعيداً بها وهو مع ذلك يطالع الامور البدنية معتبراً بها ناظراً في علامات القدرة الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتدياً بها ناظراً لها مفيضاً للخيرات عليها سابقاً لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها وعلى نحو استطاعتها . وأى امرى لم يحصل في إحدى هاتين المثلتين فهو في رتبة الانعام بل هو أضل . وانما صار أضل لان تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا اعطيت استطاعة تتحرك بها نحو هذه المراتب العالية . وانما تتحرك بقواها نحو كمالها الخاصة بها والانسان معرض لها مندوب اليها مزاح العلة فيها وهو مع ذلك غير محصل لها ولا ساع نحوها . وهو مع ذلك مؤثر لضدها يستعمل قواه الشريفة في الامور الدنيئة وتلك محصلة لكمالاتها التي تخصها فاذاً الانعام اذا منعت الخيرات الانسية حرمت جوارح الارواح الطيبة ودخول الجنة التي وعد المتقون فهي معذورة . والانسان غير معذور . مثل الاول مثل الاعمي اذا جار عن الطريق فتردى في بئر فهو

مرحوم غير ملوم . ومثل الثاني مثل بصير يجور على بصيرة حتى يتردى في  
البئر فهو ممقوت ملوم . وإذا قد تبين ان السعيد لا محالة في إحدى المرتبتين  
اللتين ذكرناها فقد تبين أيضاً ان احدهما ناقص مقصر عن الآخر وان  
الانقص منها ليس يخلو ولا يتعري من الآلام والحسرات لأجل خدائع  
الطبيعة والزخارف الحسية التي تعترضه فيما يلابسه وتوقفه عما يلاحظه وتمنعه  
من الترقى فيها على ما ينبغي وتشغله بما يتعلق به من الامور الجسمية . فصاحب  
هذه المرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب المرتبة الأخرى  
هو السعيد التام وهو الذي توفر حظه من الحكمة فهو مقيم بروحانيته بين  
الملاء الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهي ويستزيد من  
فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه عنها . ولذلك يكون أبداً خالياً من الآلام  
والحسرات التي لا يخلو صاحب المرتبة الاولى منها ويكون مسروراً أبداً  
بذاته مقتبلاً بحاله وبما يحصل له دائماً من فيض نور الامل فليس يسر إلا  
بتلك الاحوال ولا يغتبط إلا بتلك المحاسن ولا يهش إلا لآظهار تلك الحكمة  
بين أهلها ولا يرتاح إلا لمن ناسبه أو قاربه وأحب الاقتباس منه . وهذه  
المرتبة التي من وصل اليها فقد وصل الى آخر السعادات وأقصاها وهو الذي  
لا يبالي بفراق الاحباب من أهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته من التمتع  
فيها . وهو الذي يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التي عددناها في  
السعادات التي في بدنه والخارجة عنه كلها كلاً عليه إلا في ضرورات يحتاج  
اليها لبدنه الذي هو مربوط به لا يستطيع الانحلال عنه إلا عند مشيئة خالقه  
وهو الذي يشاق الى صحبة أشكاله وملاقاته من يناسبه من الارواح الطيبة

والملائكة المقربين . وهو الذي لا يفعل إلا ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُ ولا يَخْتَارُ إِلا ما قَرَّبَ إِلَيْهِ ولا يَخَالَفُهُ إِلى شَيْءٍ مِنْ شَهْوَاتِهِ الرَّدِيئَةِ ولا يَخْدَعُ بِخُدَائِعِ الطَّبِيعَةِ ولا يَلْتَفِتُ إِلى شَيْءٍ يَعْوِقُهُ عَنْ سَعَادَتِهِ . وهو الذي لا يَحْزَنُ عَلَى فَقْدِ مَحْبُوبٍ ولا يَتَحَسَّرُ عَلَى فُوتِ مَطْلُوبٍ . إِلا أَنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الْآخِرَةُ تَتَفَاوَتُ تَفَاوُتاً عَظِيماً أَعْنَى أَنْ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنَ النَّاسِ يَكُونُ عَلَى طَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مُتَقَابِرَةٍ . وهَاتَانِ الْمَرْتَبَتَانِ هُمَا اللَّتَانِ سَأَقُ الْحَكِيمُ الْكَلَامَ إِلَيْهِمَا وَاخْتَارَ الْمَرْتَبَةَ الْآخِرَةَ مِنْهُمَا وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى « فَضَائِلِ النَّفْسِ » وَأَنَا أَوْرَدُ الْفَاضِلَةَ الَّتِي نَقَلْتُ إِلى الْعَرَبِيَّةِ بَعَيْنَهَا قَالَ :

أول رتب الفضائل

أول رتب الفضائل تسمى سعادة وهي ان يصرف الانسان ارادته ومحاولاته الى مصالحه في العالم المحسوس والامور المحسوسة من أمور النفس والبدن وما كان من الأحوال متصلا بهما ومشاركاً لهما من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الاحوال المحسوسة تصرفاً لا يخرج به عن الاعتدال الملائم لاحواله الحسية . وهذه حال قد يتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات إلا أن ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو الى ما ينبغي أقرب منه الى ما لا ينبغي وذلك انه يجري أمره نحو صواب التدبير المتوسط في كل فضيلة ولا يخرج به عن تقدير الفكر وان لابس الامور المحسوسة وتصرف فيها . ثم الرتبة الثانية وهي التي يصرف الانسان فيها ارادته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح النفس والبدن من غير ان يتلبس مع ذلك بشيء من

الاهواء والشهوات ولا يكثر بشيء من النفسيات المحسوسة الا بما تدعوه اليه الضرورة . ثم تتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من الفضيلة . وذلك ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض . وسبب ذلك . اما اولاً باختلاف طبائع الناس . وثانياً على حسب العادات . وثالثاً بحسب منازلهم ومواضعهم من الفضل والعلم والمعرفة والفهم . ورابعاً بحسب همهم . وخامساً بحسب شوقهم ومعاناتهم ويقال أيضاً بحسب جدمهم . ثم تكون النقلة في آخر هذه المرتبة اعني هذا الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة . وهي التي لا يكون فيها تشوف الى آت ولا تالفت الى ماض ولا تشييع لحال ولا تطلع الى ناء ولا ضن بقريب ولا خوف ولا فزع من امر ولا شغف بحال ولا طلب لحظ من حظوظ الانسانية ولا من الحظوظ النفسانية أيضاً ولا ماتدعو الضرورة اليه من حاجة البدن والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية . لكن يتصرف بتصرف الخير العقلي في اعالي رتب الفضائل وهو صرف الوكيد الى الامور الالهية ومعاناتها ومحاولاتها بلا طلب عوض اعني ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها لنفس ذاتها فقط وهذه الرتبة أيضاً تتزايد بالناس بحسب الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة النجيزة؟ وصحة الثقة وبحسب منزلة من بلغ الى هذا المبلغ من الفضيلة في هذه الاحوال التي عددناها الى ان يكون تشبهه بالعلة الاولى واقتداؤه بها وبأفعالها



— ✽ — آخر مراتب الفضائل ✽ —

وآخر المراتب في الفضيلة ان تكون أفعال الانسان كلها أفعال الهية وهذه الأفعال هي خير محض والفعل اذا كان خيراً محضاً فليس يفعله فاعله من أجل شيء آخر غير الفعل نفسه . وذلك ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها أي هو الأمر المطلوب المقصود لذاته . والأمر الذي هو غاية في نهاية النفاسة ليس يكون من أجل شيء آخر . فأفعال الانسان اذا صارت كلها الهية فهي كلها انما تصدر عن لبه وذاته الحقيقية التي هي عقله الالهي الذي هو ذاته بالحقيقة وتزول وتهدر سائر دواعي طباعه البدني بسائر عوارض النفسين البهيميتين وعوارض التخيل المتولد عنهما وعن دواعي نفسه الحسية فلا يبقى له حينئذ ارادة ولا همة خارجتان عن فعله من أجلهما يفعل ما يفعل . لكنه يفعل ما يفعله بلا ارادة ولا همة في سوي الفعل أي لا يكون غرضه في فعله غير ذات الفعل وهذا هو سبيل العقل الالهي . فهذه الحال هي آخر رتب الفضائل التي يتقبل فيها الانسان أفعال المبدأ الاول خالق الكل عز وجل . أعني ان يكون فيما يفعله لا يطلب به حظاً ولا مجازاة ولا عوضاً ولا زيادة لكن يكون فعله بعينه هو غرضه أي ليس يفعل من أجل شيء آخر سوى ذات الفعل . ومعنى ذاته هو أن لا يفعل ما يفعله من أجل شيء غير فعله نفسه وذاته نفسها هي الفعل الالهي نفسه وهكذا يفعل البارئ تعالى لذاته لا من أجل شيء آخر خارج عنه . وذلك ان فعل الانسان في هذه الحال يكون كما قلنا خيراً محضاً وحكمة محضة فيبدأ بالفعل لنفس اظهار الفعل فقط لا لغاية



أخرى يتوخاها بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل الخاص به ليس هو على القصد  
الاول من أجل شيء خارج عن ذاته . أعني ليس ذلك من أجل سياسة الاشياء  
التي نحن بعضها لأنه لو كان كذلك لسكانت أفعاله حينئذ انما كانت وتكون  
وتم بمشاهدة الامور التي من خارج ولتديرها وتدير أحوالها واهتمامه بها .  
وعلى هذا تكون الاشياء التي من خارج أسباباً وعللاً لأفعاله . وهذا شنيع  
قبيح تعالى الله عنه علواً كبيراً . لكن عنايته عز وجل بالاشياء التي من خارج  
وفعله الذي يدبرها به ويرفدها انما هو على القصد الثاني وليس يفعل ما يفعله  
من أجل الاشياء أنفسها لكن من أجل ذاته أيضاً . وذلك لأجل ان ذاته  
تفضل لذاتها لا من أجل المفضل عليه ولا من أجل شيء آخر . وهكذا سبيل  
الانسان اذا بلغ الى الغاية القصوى في الامكان من الاقتداء بالباري عز وجل  
وتكون أفعاله التي يفعلها على القصد الأول من أجل ذاته نفسها التي هي العقل  
الالهي ومن أجل الفعل نفسه . وان فعل فعلا يرفد به غيره وينفعه به فليس  
فعله ذلك على القصد الاول من أجل ذلك الغير لكن يفعل بذلك الغير ما يفعله  
به بقصد ثان وفعله ذلك من أجل ذاته بالقصد الاول ومن أجل الفعل نفسه  
أى لنفس الفضيلة ولنفس الخير لأن فعله ذلك فضيلة وخير ففعله لنفس الفعل  
لا لاجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة ولا للتباهي وطلب الرياسة ومحبة الكرامة  
فهذا هو غرض الفلسفة ومنتهى السعادة . إلا ان الانسان لا يصل الى هذه  
الحال حتى تفتني ارادته كلها التي بحسب الأمور الخارجة وتفتني العوارض النفسانية  
وتغوت خواطره التي تكون عن العوارض ويمتلي شعاراً الهياً وهمة الهية .  
وانما يمتلأ من ذلك اذا صفا من الامر الطيبى البتة ونفى منه نفياً كاملاً . ثم

حينئذ يمتليء معرفة الهية وشوقا الهيا ويوقن بالامور الالهية بما يتقرر في نفسه وفي ذاته التي هي العقل كما تقررت فيه القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل. الا أن تصور العقل ورويته في هذه الحال بالامور الالهية وتيقنه لها يكون بمعنى اشرف والطف واظهر واشهد انكشافاً له وبيانا من القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية. فهذه ألفاظ هذا الحكيم قد نقلها نقلا. (وهي نقل ابي عثمان الدمشقي. وهذا الرجل فصيح باللغتين جميعاً اعني اليونانية والعربية مرضى النقل عند جميع من طالع هاتين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لا يراد الالفاظ اليونانية ومعانيها من ألفاظ العرب ومعانيها لا تختلف في لفظ ولا معنى. ومن رجع الى هذا الكتاب اعني المسمى بفضائل النفس قرأ هذه الالفاظ كما نقلها) وايست تحصل هذه المراتب التي يترقى فيها صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم أجزاء الحكمة كلها علماً صحيحاً ويستوفىها أولاً اولاً كما رتبناها في كتابنا المسمى بترتيب السعادات. ومن ظن من الناس أنه يصل اليها بغير تلك الطريقة وعلى غير ذلك المنهج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعداً كثيراً. وليتذكر في هذا الموضع الخطأ العظيم الذي وقع فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العاملة واهمالها وبترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال ليست مدنية ولا بحسب ما يقسطه التمييز والعقل. وقد سماهم قوم العاملة والناجية. ولذلك رتبنا هذا الكتاب عقب ذلك الكتاب ليلحظ منها السعادة الاخيرة المطلوبة بالحكمة البالغة وتهذب لها النفس وتبها لقبولها غسلًا وتنقية من الامور الطبيعية وشهوات الابدان. ولذلك سميته أيضاً بكتاب طهارة الاعراق (وقد قال ارسطو طاليس في كتابه

المسمى بالاخلاق ) ان هذا الكتاب لا ينتفع به الأحداث كثير منفعة ولا من هو في طبيعة الاحداث قال ولست اعنى بالحدث ههنا حدث السن لأن الزمان لا تأثير له في هذا المعنى. وانما اعنى السيرة التي يقصدها اهل الشهوات واللذات الحسية. وأما انا فاقول اني ما ذكرت هذه المرتبة الاخيرة من السعادة طمعاً في وصول الاحداث اليها. بل لير على سمعهم فقط وليعلم ان ههنا مرتبة حكيمية لا يصل اليها الاهلها الأعلون مرتبة . فليتمس كل من نظر في هذا الكتاب المرتبة الاولى منها بالاخلاق التي وصفها فان وفق بعد ذلك واعانه الشوق الشديد والحرص التام وسائر ما ذكرناه ووصفناه عن الحكيم فليترق في درجة الحكمة وليتصاعد فيها بجهد فان الله عز وجل يعينه ويوفقه. فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ثم فارق بجسده الكثيف دنياه الدنيئة وتجرد بنفسه اللطيفة التي عنى بتطهيرها وغسلها من الادناس الطبيعية لأخراه العلية فقد فاز وأعد ذاته للقاء خالقه عز وجل اعداداً روحانياً ليس فيه نزاع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته ولا تشوق اليها لانه قد تطهر منها وتنزه عنها ولم تبق فيه ارادة لها ولا حرص عليها وقد استخلصها للقاء رب العالمين ولقبول كراماته وفيض نوره الذي كان غير مستعد له ولا فيه قبول من عطائه ويأتيه حينئذ الذي وعد به المتقون والابرار كما سبق الايمان اليه مراراً في قوله عز وجل ( فلاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ) : وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم « هناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » :

— ❦ الرتبة الاولى من السعادة الاخيرة ❦ —

وإذ قد نخلصنا أمر هاتين المنزلتين من السعادة القصوى فقد تبين بياناً كافياً ان احدهما بالاضافة اليها أولى والاخرى ثانية ومن المحال ان نسلك الى الثانية من غير ان نمر بالاولى \* فقد وجب ان نعود الى ما بدأنا به من ذكر الرتبة الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق التي بيننا الكتاب عليها ونخلى عن بيان الرتبة الثانية الى وقت آخر فنقول : ان من عني ببعض القوى التي ذكرناها دون بعض أو تعمد لاصلاحها في وقت دون وقت لم تحصل له السعادة . وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا عني ببعض اجزائه دون بعض أو في وقت دون وقت فانه لا يكون مدبر منزل . وكذلك حال مدبر المدينة اذا خص بنظره طائفة دون طائفة أو وقتاً دون وقت لا يستحق اسم الرياسة على الاطلاق . « وارسطوطاليس : تمثل بان قال ان الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة الربيع . ولا يوم واحد معتدل الهواء يبشر بالربيع . فعلى طالب السعادة أن يطلب السيرة اللذيذة عنده فيسر بها دائماً فان تلك السيرة هي واحدة ولذيذة في نفسها . فلذا انه ينبغي أن يتشوقها دائماً ويثبت عليها ابداً \* ولما كانت السيرة ثلاثة لانها تنقسم بانقسام الغايات الثلاثة التي يقصدها الناس . اعني سيرة اللذة وسيرة الكرامة . وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها واتمها وكانت فضائل النفس كثيرة . وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها . فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذیذة بنفسها لان افعالهم ابداً مختارة وممدوحة وكل

انسان يلتذ بما هو محبوب عنده . يلتذ بعدل العادل أو يلتذ بحكمة الحكيم  
والافعال الفاضلة والغايات التي ينتهي اليها بالفضائل لذينة محبوبة فالسعادة  
الذم من كل شيء » وارسطوطاليس يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما  
ذكرناها من الشرف وسيرتها الذواشرف من كل سيرة فانها محتاجة الى  
السعادات الاخر الخارجة لان تظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة . وان  
كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذي لا يظهر فعله وحينئذ لا يكون  
بينه وبين غيره فرق كما وصفنا حالهما فيما تقدم \* فالمطلع اذاً على حقيقة هذه  
السعادة المتمكن من اظهار فعله بها هو الذي يلتذ بها وهو الذي يسر سروراً  
حقيقياً غير مموم ولا مزخرف بالباطل . وهو الذي يخرج من حد المحبة الى العشق  
والهيمان وحينئذ يأنف ان يصير سلطانه العالى يحب سلطان بطنه وفرجه  
فلا يخدم باشرف جزء فيه أخس جزء فيه . واعنى بالسرور المزخرف بالباطل  
الذات التي تشاركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة فان تلك الذات حسية  
تنصرم وشيكا وتملأ الحواس سريماً . فاذا دامت عليها صارت كريمة وربما  
عادت مؤلمة وكما ان للحس لذة عرضية على حدة فكذلك للعقل لذة ذاتية  
على حدة لان لذة العقل لذة ذاتية ولذة الحس عرضية . فمن لا يعرف اللذة  
بالحقيقة كيف يلتذ بها ؟ ومن لا يعرف الرياسة الذاتية كيف يصير اليها ؟ فانا  
قد قدمنا وصفها وشوقنا اليها باعادة الكلام فيها مراراً وقلنا . من لا يعرف  
اخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العملية يعنى اثار الافضل  
والعمل به والثبات عليه لا ينشط له ولا يرتاح اليه . ومن كان كذلك فكيف  
يلتذ ويتم بما شرحناء ودللنا عليه ؟ وقد كان للحكام المتقدمين مثل يضر بونه

ويكتبونه في الهياكل « وهي مساجدكم ومصلاكم : وهو هذا الملك الموكل  
بالدنيا يقول ان ههنا خيرا وهناك شراً وههنا ما ليس بخير ولا شر . فمن  
عرف هذه الثلاثة حق معرفتها تخلص منى ونجا سالما . ومن لم يعرفها قتلته  
شر قتلة وذلك انى لا قتله قتلا وحيا ولكنى اقتله اولاً اولاً في زمان طويل »  
فهذا المثل من نظر فيه وتأمله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره « وينبغي ان  
يعلم ان السعيد الذى ذكرنا حاله مادام حياً تحت هذا القلك الدائر بكواكبه  
ودرجاته ومطالع سعوده ونحوه يرد عليه من النكبات والنواب وانواع  
المحن والمصائب ما يرد على غيره . الا انه يذعر منها ولا يلحقه ما يلحق غيره  
من المشقة فى احتمالها لانه غير مستعد لسرعة الانفصال منها بعادة الهلع  
والجزع والاحزان ولا قابل اثر الهوم والاحزان بالاحوال العارضة . وان  
اصابه من هذه الآلام شئ فهو يقدر على ضبط نفسه كيلا تنقله عن السعادة  
الى ضدها بل لا تخرجه عن حد السعادة البتة . ولو ابتلى ببلايا ايوب عليه  
السلام واضعافها ما أخرجته عن حد السعادة . وذلك لما يجد فى نفسه من  
المحافظة على شروط الشجاعة والصبر على ما يجزع منه اصحاب خور الطباع  
فيكون سروره اولاً بذاته وبالاحاديث الجميلة التى تنشر عنه ويرى ان  
القاتل الذى يدعى الشطارة والمصارع الذى يهوى الغلبة كل واحد منهما يصبر  
على شدائد عظيمة من تقطيع اعضاء نفسه وترك الشهوات التى يتمكن منها  
طلباً لما يحصل له من الغلبة وانتشار الصيت فيرى نفسه احرى وأولى منها  
بالصبر اذا كان غرضه اشرف وصيته فى الفضلاء ابلغ واشهر واكرم ولانه  
« يسمد فى نفسه ثم يصير قدوة لغيره . وارسطوطاليس يقول : ان بعض

الاشياء تعرض من سوء البخت بما يكون يسيراً سهل المحتمل . فاذا عرض  
للانسان واحتمله لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همته . ومن لم يكن  
سعيداً ولا سبقت له رياسة بهذه الصناعة الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه  
سينفعل انفعالا قوياً فيعرض له عند حلول المصائب احدى الحالتين : اما  
الاضطراب الفاحش والالم الشديد والخروج بها الى الحد الذي يرثى له ويرحم  
واما ان يتشبه بالسعداء ويسمع مواعظهم فيظهر الصبر والسكون الا أنه جزع  
الباطن متألم الضمير . وكما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى اليمين تحركت  
الى الشمال كذلك تكون حركات نفوس الاشرار تتحرك الى خلاف ما يحملونها  
عليه من الجميل اعنى اذا تشبهوا بالاجواد واهل العدالة كانت هذه حالهم »

❦ رأى أرسطو طالس في بقاء النفس ❦

ومما يستدل به من كلام أرسطو طالس على انه كان يقول ببقاء النفس  
وبالمعاد : كلامه المتداول في كتاب الأخلاق وهو هذا قال « قد حكمتنا ان  
السعادة شيء ثابت غير متغير وقد علمنا أيضاً ان الانسان قد تلحقه تغيرات  
كثيرة واتفاقات شتى . فانه قد يمكن لمن هو أرغد الناس عيشاً ان يصاب  
بمصائب عظيمة كجرامز في برنامس . ومن يتفق له هذه المصائب ومات عليها  
فليس يسميه أحد من الناس سعيداً . وليس ينبغي على هذا القياس ان يسمي  
انسان من الناس سعيداً ما دام حياً بل ينتظر به آخر عمره ثم يحكم عليه .  
فالانسان اذاً انما يصير سعيداً اذا مات . إلا ان هذا قول في غاية الشناعة اذا  
كنا نقول ان السعادة هي خير ما . ثم قال في هذا الموضوع أيضاً موضع شك

فانه قد يظن بالميت ان يلحقه خير وشر إذ قد يلحق الحي أيضاً وهو لا يحس به مثل الكرامة أو الهوان واستقامة أمر الاولاد وأولاد الاولاد . ففي هذه الاشياء خير لانه قد يمكن فيمن عاش عمره كله الى أن يبلغ الشيخوخة سعيداً وتوفى على هذا السبيل ان يلحقه مثل هذه التغيرات في أولاده حتى يكون بعضهم خياراً حسن السيرة وبعضهم بئس ذلك . ومن البين انه قد يمكن أن يوجد بين الآباء والاولاد تباين واختلاف بكل جهة . ولكن من المنكر ان يكون الميت بتغير غيره بصير مرة سعيداً ومرة أخرى شقيماً . ومن المنكر أن لا تكون أمور الاولاد متصلة بالوالدين في وقت من الاوقات . ولكن ينبغي أن نعود الى ما كان الشك واقعاً فيه . فهذا الشك الذي أورده ارسطوطاليس على نفسه في هذا الموضوع هو شك من يعتقد ان للانسان بعد موته أحوالاً وانه يتصل به لا محالة من أمور أولاده وأولاد أولاده أحوال مختلفة بحسب أخلاق سير الاولاد . فكيف تقول ليت شعري في الانسان اذا مات سعيداً ثم لحقه من شقا بعض أولاده أو سوء سيرة من يحيا من نسله ما يكون ضد سيرته وهو حي فانه ان غير سعادته كان هذا شنيعاً وان لم يلحقه أيضاً شيء . من ذلك كان أيضاً شنيعاً . ثم ارسطوطاليس يحل هذا الشك بأن يقول ما هذا معناه : ان سيرة الانسان ينبغي ان تكون سيرة محمودة لانه يختار في كل ما يعرض له أفضل الاعمال من الصبر مرة ومن اختيار الافضل فالافضل مرة . ومن التصرف في الاموال اذا اتسع فيها وحسن التجميل اذا عدمها ليكون سعيداً في جميع أحواله غير منتقل عن السعادة بوجه من الوجوه . فالسعيد اذا ورد عليه نحس عظيم جعل سيرته أكثر سعادة لانه يداريه مداراة



جميلة ويصبر على الشدائد صبراً حسناً. ومتى لم يفعل ذلك كدّر سعادته ونقصها وجلب له احزاناً وغموماً تعوقه عن افعال كثيرة . والجميل اذا ظهر من السعداء في هذه الاحوال والافعال كان أشد اشراقاً وحسناً وذلك اذا احتمل ما كبر وعظم من المصائب احتمالاً سهلاً بعد ان لا يكون ذلك لا لعدم حسه ولا لنقصان فهمه بالامور بل لشهامته وكبر نفسه قال : اذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون أحد من السعداء شقياً لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات أفعالاً مردولة. فاذا كان هكذا فالسعيد ابداً يكون منبسطاً وان حلت به المصائب التي حلت بيرانامس ولا يكون أيضاً شقياً ولا سريع التنقل من ذلك لانه ليس ينتقل عن السعادة بسهولة ولا تنقله عنها الاوقات اليسيرة بل لا تنقله عنها الآفات العظيمة الكثيرة وليس يكون سعيداً اذا نالته هذه الامور زماناً يسيراً بل اذا ظفر بأمور جميلة في زمان طويل . ثم قال بعد قليل : وأما حال الانسان بعد موته فالقول بأن الآفات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه بأجمعهم ليست تتعلق به أصلاً مضاد لما يعتقد جميع الناس . واذا كانت الامور العارضة لهؤلاء كثيرة متيقنة وكان بعضها يتعدى الى الميت أكثر وبعضها أقل صارت قسمتنا ايها الى الاشياء الجزئية بلانهاية. وأما اذا قيل قولاً كلياً وعلى طريق الرسم تخليق ان نكتفي بما نقوله فيها وهو انه كما ان الآفات التي تعرض للميت في حياته بعضها يتحمل عليه احتمالاً ويثلم في سيرته وبعضها يخف عليه احتمالاً كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التي تعرض للاحياء مخالف لما يعرض لهم اذا ماتوا اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل ويشبه ان كان يصل اليهم

من هذه الاشياء شيء خيراً كان أو شراً أن يكون يسيراً نزرأ بمقدار ما لا يجعل  
غير السعيد سعيداً ولا ينتزع السعادة من السعداء . هذا حل أرسطو طاليس  
للشك الذي أورده

— ❦ —  
❦ لذة السعادة ❦ —

ولما قلنا ان السعادة ألد الاشياء وأفضلها وأجودها وأوضحها وجب أن  
نين وجه اللذة فيها بأنم بيان كما قلناه فيما مضى . ان اللذة تنقسم الى قسمين  
أحدهما لذة انفعالية والأخرى لذة فعلية أي فاعلة . فأما اللذة الانفعالية فهي  
شبيهة بلذة الاناث واللذة الفاعلة تشبه لذة الذكور . ولذلك صارت اللذة  
الانفعالية هي التي تشاركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة وذلك انها مقترنة  
بالشهوات ومحبة الانتقام وهي انفعالات النفسين البهيميتين . وأما اللذة الاخرى  
فهي الفاعلة وهي التي يختص بها الحيوان الناطق ولأنها غير هيولانية ولا منفعة  
انفعالا لانها صارت لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك عرضية . وأعني  
بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات تزول سريعاً وتتقضى  
وشيكاً بل تنقلب لذاتها فتصير غير لذات بل تصير آلاماً كثيرة أو مكروهة  
بشعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها . وأما اللذة الذاتية فانها لا تصير  
في وقت آخر غير لذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة أبداً . واذا كانت  
كذلك فقد صح حكمنا ووضع ان السعيد تكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية  
لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية . ولذلك قالت الحكماء ان اللذة  
اذا كانت صحيحة ساقط البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة .

وكذلك تسوق النفس من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة . إلا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم . وهو ان ميله الى اللذة الحسية ميل قوى جدا وشوقه اليها شوق مزعج ولا تزيد العادة في قوة الطبع الذى لنا كبير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في البدء من القوة والشوق . ولذلك متى كانت هذه اللذة حسية فيبحة جدا ثم مال الطبع اليها بافراط وانفعل عنها بقوة استحسنت الانسان فيها كل قبيح وهون على نفسه منها كل صعب ولا يرى موضع الغلط ولا مكان القبيح حتى تبصره الحكمة . وأما اللذة العقلية الجميلة فأمرها بالضد . وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها بمعرفته وتمييزه احتاج فيها الى صبر ورياضة حتى اذا تبصر فيها وتدرّب لها انكشف له حسناتها وبهاؤها وصارت عنده بمكان في الحسن . ومن هنا تبين أن الانسان في ابتداء تكوينه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القيم حتى تهديه وتقومه الى الحكم البالغة ليتولى تدير نفسه الى آخر عمره . وقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود . وذلك اننا لذة فاعلة ولذة الفاعل أبداً تكون في الاعطاء ولذة المنفعل أبداً تكون في الاخذ . ولا تظهر لذة السعيد إلا بابرار فضائله واظهار حكمته ووضعها كفائته في مواضعها وكذلك البناء الخاذق والصانع اللطيف والموسيقي المحسن . وبالجملة كل صانع خاذق فاضل في صناعته ينسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهله ومستحقيها . وهذا هو معنى الجود الا أن الجود باعلى الاشياء واكرمها افضل واشرف من الجود بأدونها وأخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه وعلو مرتبته ضد ما عرض لذلك الجود الآخر مع نزارته وقلته . وذلك ان صاحب الاموال والمقتنيات الخارجة كلها

ينتقص ماله بالانفاق وينتلم بالبذل وتفنى ذخائره. وأما صاحب السعادة التامة فإن أمواله لا تنقص بالانفاق بل تزيد ولا تفنى ذخائره بالتبذير بل تنمو. وتلك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء واللصوص وسائر المتساطين وهذه محروسة من كل آفة لاسبيل للأشرار والاعداء اليها بوجه ولا سبب. فقد ظهرت لذة السعيد كيف تكون ومن أين تبتدى والى أين تنتهى وكيف يكون السرور الحقيقى واللذة الذاتية. وتبين أيضاً انها ابدية وتامة والهيبة وأن ضدها هو الشقاء لذاته بالضد وعلى العكس اعنى ان لذاته كلها عرضية ومتقلبة عن طبائرها الى اضدادها حتى تصير مؤلمة أو مكروهة وانها غير الهية بل شيطانية وغير ممدوحة بل هي مذمومة. وذلك بأن ينظر فى السعادة هل هي ممدوحة. فان ارسطوطاليس يقول ان الاشياء التى هي فى غاية الفضل لا يوجد لها مدح لانها افضل وامدح واجل من أن تمدح قال : وذلك انا قد ننسب المتأهلين والخيار من الناس الى السعادة وليس يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح العدل. لكنه يجلبها ويكرمها الى انها أمر الهى بالاشياء التى هي افضل من المدح وهو الله تعالى والى الخير فان المدح هو الفضيلة والعمل بها. ثم انتهى كلامه هذا الى أن قال : فالله تعالى اكرم واشرف من أن يمدح بل انما يمجّدونه ونحن نمجد الله تعالى ونقدسه تمجيداً كثيراً. واما السعادة فلانها أمر الهى وانما تفعل الاشياء كلها لاجلها فهى كذلك ايضا ممجدة. فعلى هذا الأمر ينبى ان لا تمدح السعادة لانها أجل من كل مدح بل نمجدها فى نفسها وتمدح الامور كلها بها وبقدر قسطها منها

المقالة الرابعة

( ظهور الفضائل من ليس بسعيد ولا فاضل )

قد قلنا فيما سلف ان السعادة تظهر في الافعال من العدالة والشجاعة  
والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التي احصيناها وحددناها  
وهذه الافعال قد تظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل . وذلك انه قد  
يعمل بعض الناس عمل العدول وليس يعادل ويعمل عمل الشجعان وليس  
بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف . مثال ذلك ان من ترك الشهوات  
من المآكل والمشارب وسائر اللذات التي ينهمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها  
اكثر مما يحضره واما لانه لا يعرفها ولم يباشرها كالأعراب الذين يبعدون  
عن البلاد وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال . واما لانه ممتلي مما يجده ويحضره  
واما لجمود شهوته ونقصان تركيبه . واما لانه استشعر خوفاً من تناولها  
مكروهاً يلحقه بسببها . واما لانه ممنوع منها . فان هؤلاء كلهم يعملون عمل  
الاعفاء وليسوا باعفاء على الحقيقة وانما يسمى عفيفاً على الحقيقة من وفي العفة  
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض آخر غيرها وآثرها لانها  
فضيلة ثم تناول كل واحدة من شهواته بمقدار الحاجة ومن الوجه الذي ينبغي  
وفي الوقت الذي ينبغي وعلى الحال الذي ينبغي . وكذلك حال الذي يعمل  
اعمال الشجعان وليس بشجاع . وذلك ان من باشر الحروب واقدم على ركوب  
الاهوال لبعض ما يوصل اليه المال أو لبعض الرغبات التي لا تجد كثرة فان  
مثل هذا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمل بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة

التي تدعي شجاعة . وكل من كان أكثر اقداما واصبر على الاهوال لهذه الاحوال يجب ان يكون أكثر شرها ونهما لا أكثر شجاعة . وذلك انه يخاطر بنفسه الشريفة ويصبر على المكاره العظيمة طمعا في المال وما يصل اليه بالمال . وقد رأينا اهل الشقاوة يعملون عمل الاعفاء وعمل الشجعان وهم ابعد الناس عن كل فضيلة . وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلطان وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والجراحات التي لا يؤمن منها وينتهون فيها لاقصى الصبر على الصلب وتمل العيون وقطع الايدي والأرجل وضروب التمثيل طلبا لاسم وذكر بين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل . وقد يعمل أيضا عمل الشجعان من يخاف لائمة عشيرته أو عقوبة سلطان أو خوف سقوط جاهه أو ما اشبه ذلك . وقد يعمل عمل الشجعان من اتفق له مرارا كثيرة ان يغلب أقرانه فهو يقدم ثقة منه بالمادة الجارية وجهلا بمواقع الاتفاقات . وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يركبون الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور أو لحرصهم على متعة العين منه لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على الحياة الرديئة كما يفعل الشجاع بالحقيقة . وأما شجاعة الاسد والفيل واشباههما من الحيوانات فانها تشبه الشجاعة وليست بشجاعة حقيقة . وذلك انها قد وثقت بقوتها وانها تفوق غيرها فهي تقدم لاطبيعة الشجاعة بل تمام القدرة وثقة النفس والغلبة . وما كان منها سبعا فهو مع هذه الحال مزاح العلة في السلاح الذي عدمه وهو كصاحب السلاح منا اذا قدم على الاعزل . وليست هذه شجاعة مع عدم الاختبار الذي يستعمله الشجاع . وذلك ان

الشجاع خوفه من الامر اشد من خوفه من الموت ولذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة . على أن لذة الشجاع ليست تكون في مبادئ اموره فان مبادئ الامور تكون مؤذية له لكنها تكون في عواقب الامور وتكون أيضاً باقية مدة عمره وبعد عمره لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاداته الصحيحة في وحدانية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والآخرة . فان مثل هذا فكر في قصر مدة عمره وعلم انه لا محالة سيموت بعد ايام ثم كان محباً للجميل ثانياً على الرأي الصحيح فهو لا محالة يحامى عن دينه ويمنع العدو من استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويأنف من الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فانما يستبقى شيئاً هو لا محالة فان زائل وان تأخر اياماً معدودة . ثم هو في هذه الحياة اليسيرة ممقوت مكدر الحياة بالذل وضروب الصغار . وهذه حال الشجاع مع قوى نفسه اعنى بمقاومة شهواته واستسلامه لذات الشجاعة بعينها . ومن سمع كلام الامام صلوات الله عليه الذي صدوره عن حقيقة الشجاعة اذ قال لاصحابه : « ايها الناس ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف على الرأس اهون من ميتة على الفراش » . تبين له ان جميع ما احصيناه للانسان ليس بمعدود فيها وان كان يشبهها بالصورة . ذلك انه ليس كل من يقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من لا يخاف من الفضائح فهو شجاع . وذلك ان من لا يفزع من ذهاب شرفه أو فضيحة حرمه أو عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق او الزمانة في الامراض أو عدم الاخوان والاصدقاء أو عند اضطراب البحر وهول الامواج والهواء

الهائج فهو بان يوصف بالجنون مرة وبالقحة مرة اولى بان يوصف بالشجاعة .  
وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الأمن والطمانينة بان يثب من سطح عال  
أو يصعد مرتقى صعبا أو يحمل نفسه على خوض ماء غزير وهو لا يحسن  
السباحة أو يساور جملا هائجا أو ثورا صعبا أو فرسا لم يرض من غير ضرورة  
تدعوه الى ذلك بل مرااة بالشجاعة واطهار مرتبة الشجعان فهو بان يسمى  
مطرماذا ماثقا اولى منه بان يسمى شجاعا . وأما من خنق نفسه خوفاً من  
الفقر أو الذل أو اهلكها بالسم وما اشبهه من باب الضيم فهو بان يوصف  
بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة . وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة  
الجبن لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصير على ما يرد عليه من الشدائد صبورا  
جميلا ويعمل اعمالا تليق بتلك الحال كما شرحناه فيما تقدم . ولذلك يجب ان  
يعظم الشجاع ويشح بنفسه وحقيق على السلطان خاصة والقيم بأمر الدين  
والملك ان ينافس فيه ويحل قدره ويعلى خطره ويميزه عن سائر من يتشبه به  
ممن ذكرناه . فقد تبين من جميع ما قلناه ان الشجاع هو الذي يستهين بالشدائد  
في الامور الجميلة ويصبر على الامور الهائلة ويستخف بما يستعظمه عوام الناس  
حتى بالموت لاختيار الامر الافضل ولا يحزن على مالا درك فيه ولا يضطرب  
عند ما يفدحه من المصائب ويكون غضبه اذا غضب بمقدار ما يجب وعلى  
من يجب وفي الوقت الذي يجب . وكذلك يكون انتقامه على هذه الشرائط  
فان الحكماء قالوا ان من لا ينتقم يلحق قلبه ذبول فاذا انتقم عاد الى حالته من  
النشاط وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا واذا لم يكن  
كذلك كان مذموما . فقد نقل الينا في الاخبار الماثورة عن اقدم على سلطان



قوى ورام أن ينتقم منه فاهلك نفسه من غير أن يضر سلطانه روايات كثيرة  
وكذلك حال من اقدم على قرن قوى او خصم ألد لا يستطيع مقاومته فان  
الانتقام منه يعود وبالأعلى عليه وزيادة في الذل والعجز . فإذا ليست تم شرائط  
الشجاعة والعفة الا للحكيم الذي يستعمل كل شيء في موضعه الخاص به ويقدر  
اقساط العقل له . فكل شجاع غفيف حكيم وكل حكيم شجاع غفيف وهذه  
الحال بعينها تظهر فيمن عمل عمل الاسخياء وليس بسخي . وذلك ان من بذل  
أمواله في شهوته طلبا للسمعة والرياء أو تقربا الى السلطان او لدفع مضرة عن  
نفسه وحرمه وأولاده أو بذلها لمن لا يستحق من اهل الشر أو الملهين أو  
المساخرين أو بذلها لطمع في أكثر منها على سبيل التجارة والمرابحة فكل  
هؤلاء يعمل عمل الاسخياء وليس بسخي . اما بعضهم فيبذل ماله بطبيعة  
الشره واما بعضهم فبطبيعة الطرمذة والرياء . وبعضهم على طريق الازدياد من  
المال والربح فيه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر المال . وهذا  
أكثر ما يعرض للوارث ولمن لا يتعب في اكتساب المال فلا يعرف صعوبة  
الامر فيه . وذلك ان المال صعب الاكتساب سهل الانفاق والتفرقة قد شبهه  
الحكماء بمن يرفع حملا ثقيلًا الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر في ترقية  
واصعاده صعب ولكن ارساله من هناك امر سهل .

— ❦ — الحاجة الى المال واكتسابه بالطرق الشريفة العادلة ❦ —

الحاجة الى المال ضرورية في العيش وهو نافع في اظهار الحكمة والفضيلة  
ومن اكتسبه من وجهه صعب عليه . وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها

يسيرة عند الرجل العادل الحر وأما غير العادل الحر فليس يبالي كيف اكتسبه  
ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار والفضلاء ناقصي  
الخط منه . ويوجدون ايضاً ذامين للبخت شاكين منه . واما اصدقاءهم فلاجل  
انهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات ولا يبالون كيف وصل اليهم فانهم  
يوجدون ابداً وافري الخط منه واسمى النفقات شاكرين لبخوتهم والعامه  
يغبطونهم ويحسدونهم . الا ان العاقل اذا رأى نفسه وهو برئ من المذمات  
نقي العرض من السوات لم يتدنس بالبيع من المكاسب ولم يتطرق اليه بخيانة  
ولا سرقة ولا ظلم لمن هو دونه أو مثله وتجنب فيه وجوه العار والفضائح  
كالقيادة والخداع وترويج السلع الفبيحة على الملوك واستنزاهم عن اموالهم  
بالخداع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبائح فيما يوافق هواهم  
وما يجرى مجرى ذلك من السعاية والنيمة والغيبة وضروب الفساد التي يرتكبها  
طلاب المال من غير وجهه بضروب المغابنات ووجوه الظلم يسر بنفسه  
ويتعاض من المال الراحة والمحمدة فلا يلوم البخت ولا يبغيض الدول ولا يحسد  
اصحاب الاموال المكتسبة من غير وجوهها الجميلة . فهذه احوال المكتسبين  
للأموال ومنفقيها وكذلك حال من عمل عمل المدول وليس يعدل . وذلك  
انه اذا عدل في بعض الامور مرآة ليصل به الى كرامة او مال او غير ذلك  
من الشهوات أو لغرض آخر مما عددناه فيما تقدم فليس يسمي عادلاً وانما  
يعمل عمل المدول للغرض الذي يقصده . وينبغي ان ينسب فعله الى غرضه  
فانه بحسب هذا يفعل ذلك كما قلنا وشرحنا

✧ العادل ✧

فاما العادل بالحقيقة فهو الذي يعدل قواه وافعاله واحواله كلها حتى لا يزيد بعضها على بعض ثم يروم ذلك فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك فضيلة العدالة نفسها لا غرضاً آخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية اديبة تصدر عنها افعاله كلها بحسبها. ولما كانت العدالة وسطاً بين اطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص اليها صارت اتم الفضائل واشبهها بالوحدة. واعنى بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاعلى والرتبة القصوى. وكل كثرة لا يضبطها معنى يوحدها فلا قوام لها ولا ثبات. والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي تفسد الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة تحفظ عليها الاعتدال بوجه ما. فالاعتدال هو الذي يرد اليها ظل الوحدة ومعناها. وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب الذي لا يجد ولا يضبط بالمساواة التي هي خليفة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم يدلك على معناه. وذلك ان العدل في الاحمال والاعتدال في الاثقال والعدالة في الافعال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي أشرف النسب المذكورة في صناعة الارتماطيق ولذلك لا تنقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها او ظل للوحدة. فاذا لم نجد المساواة التي هي المثل بالحقيقة في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي تتحل اليها وتعود الى حقيقتها. وذلك انا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا. ولذلك لا توجد

النسبة الا بين اربعة أو ثلاثة يتكرر فيها الوسط فتصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة. ومثال الاولى اب ج د فنقول نسبة (ا) الى (ب) كنسبة (ج) الى (د). ومثال الثانية ان نأخذ الباء مشتركا فنقول نسبة (ا) الى (ب) كنسبة (ب) الى (ج) وهذه النسبة توجد بين ثلاثة اشياء. وهي النسبة العددية والنسبة المساحية والنسبة التأليزية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي عملناه في صناعة العدد. واما سائر النسب فراجعة اليها ولذلك عظمها الاوائل واستخرجوا بها العلوم الجملة الشريفة ولما كانت نسبة المساواة عزيزة لانها نظيرة الوحدة عدلنا الى حفظ هذه النسب الاخر في الامور الكثيرة التي تلابسها لانها عائدة اليها وغير خارجة عنها فنقول :

### مواضع العدالة

ان العدالة موجودة في ثلاثة مواضع: احدها قسمة الاموال والكرامات والثاني قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشراء والمعاوضات. والثالث قسمة الاشياء التي وقع فيها ظلم وتمعد. فاما العدالة في الامور التي تكون في القسم الاول فتكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة اعني ان تكون نسبة الاول الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع. مثال ذلك ان يقال نسبة هذا الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبة الى مثل قسطه. فاذا يجب ان يوفر عليه ويسلم. واما في الامور التي تكون في القسم الثاني اعني المعاملات والمعاوضات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة اخرى. مثاله ان تقول نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف.

ثم ليس يمنع مانع ان تقول نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار أو تقول : نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسي . ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية تكون بالعرض والعمق جميعا اعني ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين وهو بالعمق اشبه . والثانية تقع بالعرض في الجزئيين وقد تقع بين الكليين والجزئيين ايضا . وأما العدالة التي تقع في المظالم والامور القسمية فهي بالنسبة المساحية اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان آخر فباطل هذه النسبة بحيثيف أو ضرر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضرر مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه . فالعادل من شأنه ان يساوي بين الاشياء الغير المتساوية . مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد وزاد على الناقص حتى يحصل له التساوي ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما أشبه ذلك . ولكن ينبغي ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يمكنه ان يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما في باب المعاملات طرفان احدهما زيادة والآخر نقصان فاذا أخذ أقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان أخذ أكثر مما يجب كان خارجا الى جانب الزيادة

### ﴿ لزوم الشريعة في المعاملات ﴾

والشريعة هي التي ترسم في كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال لان الناس هم مدينون بالطبع ولا يتم لهم عيش الا بالتعاون فيجب

ان بعضهم يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطى بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافأة المناسبة . فاذا أخذ الاسكاف من النجار عمله وأعطاه عمله ففي المعاوضة اذا كان العمالان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار هو المقوم والمسوى بينهما . فالدينار هو عدل ومتوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذي يستعمله ويقوم به جميع الامور التي تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة . ولذلك يستعان بالحاكم الذي هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذي هو عدل ساكت وأرسطوطاليس يقول « ان الدينار ناموس عادل » ومعنى الناموس في لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك . فهو يقول في كتابه المعروف بـ « نيقوماخيا » « ان الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس نان من قبله والدينار ناموس ثالث . فناموس الله تعالى قدوة النواميس كلها » يعنى الشريعة والحاكم الثاني مقتد به والدينار مقتد ثالث وانما قومت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة لتصح المشاركات والمعاملات وتبين وجه الاخذ والاعطاء . فالدينار هو الذي يسوى بين المختلفات ويزيد في شيء وينقص في آخر حتى يحصل بينهما الاعتدال فتستوى المعاملة بين الفلاح والنجار مثلا . وهذا هو العدل المدني وبالعدل المدني عمرت المدن وبالجور المدني خربت المدن . وليس يمنع مانع من ان يكون عمل يسير يساوى عملا كثيرا . مثال ذلك ان المهندس ينظر نظرا قليلا ويعمل عملا يسيرا ويساوى نظره هذا عملا كثيرا من اقوام يكدون بين يديه ويعلمون بما يرسمه . وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا

ولكنه يساوى أعمالاً كثيرة مما يحارب بين يديه ويعمل الأعمال الثقيلة العظيمة. فالجائر يبطل التساوى وهو عند أرسطو طائس على ثلاث منازل. فالجائر الأعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها. والجائر الثاني هو الذي لا يقبل قول الحاكم العادل في معاملاته وأمورده كلها. والجائر الثالث هو الذي لا يكتسب ويفتصب الأموال فيعطى نفسه أكثر مما يجب لها وغيره أقل مما يجب له قال: « فالمستمسك بالشريعة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالة لأن الشريعة تأمر بالأشياء المحمودة لأنها من عند الله عز وجل فلا تأمر إلا بالخير والأبوالأشياء التي تفعل السعادة. وهي أيضاً تنهى عن الرذائل البدنية وتأمر بالشجاعة وحفظ الترتيب والثبات في مصاف الجهاد. وتأمر بالعفة وتنهى عن الفسوق وعن الافتراء والشتم والهجر وبالجملة تأمر بجميع الفضائل وتنهى عن جميع الرذائل. فالعادل يستعمل العدالة في ذاته وفي شركائه المدنيين » والجائر يستعمل الجور في ذاته وفي أصدقائه ثم في جميع شركائه المدنيين قال: « وليست العدالة جزءاً من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها ولا الجور الذي هو ضدها جزءاً من الرذيلة لكنه الرذيلة كلها فبعض أنواع الجور ظاهر ينفعل بالارادة مثل ما يكون في البيع والشراء والكفالات والقروض والمواري. وبعضها خفي ينفعل أيضاً بالارادة مثل السرقة والفجور والقيادة وخداع المالك وشهادة الزور وبعضها غشمي على سبيل التغلب مثل التعذيب بالدهق والقيود والاغلال

### ❦ الامام العادل ❦

فالامام العادل الحاكم بالسوية يبطل هذه الانواع ويخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة فهو لا يعطي ذاته من الخيرات اكثر مما يعطي غيره . ولذلك قيل في الخبر ان الخلافة تطهر الانسان . قال فاما العامة فانها تؤهل لمرتبة الامامة التي هي الخلافة العامة بما ذكرناه . من كان شريفاً في حسبه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك من كان كثير المال . وأما العقلاء فانهم يؤهلون لذلك من كان حكيماً فاضلاً فان الحكمة والفضيلة هي التي تعطي الرياسات والسيادات الحقيقية وهي التي رقت الثاني والاول في مرتبتهما وفضلتهما

### ❦ اسباب المضرات ❦

وأسباب المضرات كلها تنفث الى اربعة انواع . احدها الشهوة والرذالة التابعة لها . والثاني الشرارة والجور التابع لها . والثالث الخطاء ويتبعه الحزن والرابع الشقاء \* اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بغيره الا انه لا يكون مؤثراً له ولا ملتذاً به . ولكنه يفعله ليصل به الى شهوته وربما كان متألماً به كارهاً له الا ان قوة الشهوة تحمله على ارتكاب ما يرتكبه . واما الشرير فانه يعتمد الاضرار بغيره على سبيل الاءثار له والالتذاذ به . كمن يسعى الى السلطان ويحمله على ازالة نعمة لا يصل اليه منها شيء . ولكن يلتذ بالمكروه الذي يصل اليه غيره . واما الخطأ فان صاحبه لا يقصد الاضرار بغيره ولا



يؤثره ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما فيعرض منه فعل آخر . وصاحب الفعل يحزن ويكتئب لما اتفق اليه من الخطاء . واما الشقاء فصاحبه لا يكون هذا مبدأ فعله ولا له فيه صنع بالقصد . بل يوقعه فيه سبب آخر من خارج . وذلك كمن تصدم به دابته صديقا له فتقتله . فهذا يسمى شقيا وهو مرحوم معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة . واما السكران والغضببان والغيران اذا فعلوا فعلا قبيحا فانهم يستحقون العتب والتفويه لان مبتدأ افعالهم منهم . وذلك ان السكران باختياره ازال عقله والغضببان والغيران اختارا الانقياد بهاتين القوتين اذا هاجتا بهما . ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة فنقول

### تقسيم العدالة

ان ارسطو طاليس قسم العدالة الى اقسام ثلاثة . احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين . وهو ان يجري الانسان فيما بينه وبين الخالق عز وجل على ما ينبغي وبحسب ما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته . وذلك ان العدل اذا كان هو اعطاء ما يجب من يجب كما يجب . فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة واجب ينبغي ان يقوم به الناس . والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتأدية الآمانات والنصفة في المعاملات . والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل اداء الديون عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطو طاليس واما تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل وان كان ظاهرا . فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضوع . وهو ان العدالة لما كانت تظهر في الاخذ والاعطاء وفي

الكرامة التي ذكرناها . وجب ان يكون لما يصل اليها من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التي لا تحصى حق يقابل عليه . وذلك ان من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان يقابله بضرب من المقابلة فهو جائر . فكيف به اذا اعطى جما كثيرا واخذ اخذا دائما ثم لم يعط في مقابله شيء البتة . ثم على قدر النعمة التي تصل الى الانسان يجب ان يكون اجتهاده في المقابلة عليها . مثال ذلك ان الملك الفاضل اذا امن السرب وبسط العدل واوسع العمارة وحمل الحریم وذب عن الحوزة ومنع من التظالم ووفر الناس على ما يختارونه من مصالحهم ومعايشهم . فقد احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه في نفسه وان كان قد عمهم بالخير واستحق من كل واحد منهم ان يقابله بضرب من المقابلة متى قعد عنه كان جائرا اذ كان يأخذ نعمته ولا يعطيه شيئا . لكن مقابلة الملك الفاضل من رعيته انما تكون باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة في السر والعلانية والمحبة الصادقة والائتمام بسيرته نحو الاستطاعة والاعتدابه في تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان : نسبة الملك الى مدينته ورعيته كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله . فمن لم يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا الظلم والجور اذا كان في مقابلة النعم الكثيرة فهو الخش وافيح . وذلك ان الظلم وان كان في نفسه قبيحا فان مراتبه كثيرة . لان مقابلة كل نعمة انما تكون بحسب منزلتها وموقعها وبقدر فائدتها وعائدتها وعلى مقدار عددها . فان كانت النعم كثيرة العدد وعظيمة الوقع فكيف يكون حال من لا يلزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا محبة صادقة ولا مسعاة سالحة . فاذا كان هذا معروفا

غير منكور واجبا غير مجود في ملوكنا ورؤسائنا. فبالاخرى ان يكون لملك الملوك الذي يصل اليها في كل طرفه عين ضروب احسانه الفاضل على اجسامنا ونفوسنا التي لا يقع عليها احصاء ولا عدد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتأديتها \* اترانا نجعل النعمة الاولى علينا بالوجود ثم تتابعها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسداني الذي افنى فيه صاحب كتابي التشریح و منافع الاعضاء الف و رقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنه الامر. أم ترانا نجعل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات التي لا نهاية لها وما امدها به من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته. وما عرضنا به للملك الابدی والنعيم السرمدي ( لا ) لعمرى ما يجعل هذه النعمة الا النعم . فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يضطره اليه مشاهدة احواله في جميع اوقاته \* واذا كان الخالق تعالى غنيا عن معونتنا ومساعدتنا فن الحال القبيح والجور الفاحش ان نلتزم له نحن حقا ولا نقبله على هذه الآلاء والنعم بما يزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل

### — ما يجب على الانسان خالقه —

ان ارسطوطاليس لم ينص في هذا الموضع على العبادة التي يجب ان نلتزمها خالقنا عز وجل غير انه قال ما معناه \* وقد اختلفت الناس فيما ينبغي ان يقوم به المخلوقون خالقهم فبعضهم رأى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرايين . وبعضهم رأى ان يقتصر على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده بحسب استطاعته \* وبعضهم رأى ان يتقرب

اليه بان يحسن الى نفسه بتزكيتها وحسن سياستها . والاحسان الى  
المستحقين من اهل نوعه بالمواساة ثم بالحكمة . والموعظة وبعضهم رأى اللهج  
بالفكر في الالهيات والتصرف نحو المحاولات التي يتزايد بها الانسان من  
معرفة ربه عز وجل حتى تتكامل معرفته به وبحقيقة وحدانيته وصرف الوكد  
اليه . وبعضهم رأى ان الواجب للرب جل ذكره على الناس ليس سبيله واحداً  
ولا هو شيء بعينه يلتزمه الجميع التزاماً واحداً وعلى مثال واحد لكنه يختلف  
بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله أرسطو طاليس  
بالفاظه المنقولة الى العربية . وأما الحدث من الفلاسفة فانهم قالوا إن عبادة  
الله عز وجل على ثلاثة انواع . أحدها فيما يجب له على الابدان كالصلاة  
والصيام والسعي الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل . والثاني فيما يجب  
له على النفوس كالاقتادات الصحيحة وكالعلم بتوحيد الله عز اسمه وما يستحقه  
من الثناء والتمجيد وكالفكر فيما افاضه على العالم من وجوده وحكمته ثم الاتساع  
في هذه المعارف . والثالث فيما يجب له عند مشاركات الناس في المدن وهي  
في المعاملات والمزارعات والمناكح وفي تأدية الأمانات مع نصيحة البعض  
لبعض بضروب المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحرم وحماية  
الحوزة قالوا فهذه هي العبادات وهي الطرق المؤدية الى الله عز وجل . وهذه  
الانواع وان كانت معدودة ومحصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام  
غير محصاة . وللانسان مقامات ومنازل عند الله عز وجل . فالمقام الاول  
للموقنين وهو رتبة الحكماء وأجلة العلماء . والمقام الثاني مقام المحسنين . وهو  
رتبة الذين يعملون بما يعلمون . وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل

والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة المصلحين وهؤلاء هم خلفاء  
الله بالحقيقة في اصلاح العباد والبلاد . والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبة  
المخلصين في المحبة واليها تنتهي رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق  
ويسعد الانسان بهذه المنازل اذا حصلت له أربع خلال . اولها الحرص والنشاط  
والثاني العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية . والثالث الحياء من الجهل ونقصان  
القريحة اللذين يحدنان بالاهمال . والرابع لزوم هذه الفضائل والترقي فيها دائما  
بحسب الاستطاعة فهذه أسباب الاتصال

— ❦ —  
❦ أسباب الانقطاع عن الله ❦ —

وأما أسباب الانقطاعات عن الله عز وجل والمسافط وهي التي تعرف  
باللعين . فأولها السقوط الذي يستحق به الاعراض ويتبعه الاستهانة . والثاني  
السقوط الذي يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف . والثالث السقوط  
الذي يستحق به الطرد ويتبعه المقت . والرابع السقوط الذي يستحق به الخسأة  
ويتبعه البغض . وانما يشقى العبد اذا حصل على اربع خلال . اولها الكسل  
والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية . والثاني الغباوة  
والجهل المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التي احصيناها في  
كتاب مراتب السعادات . والثالث الوقاحة التي ينتجها اهمال النفس اذا تبتعت  
الشهوات وترك زمامها لركوب الخطايا والسيئات . والرابع الانهماك الذي  
يحدث من الاستمرار في القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسماة  
في الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزين والثاني هو الرين والثالث هو الغشاوة

والرابع هو الختم . ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره  
عند مداواة اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل . وهذه  
الاشياء التي عددناها الآن لا خلاف بين الحكماء فيها وبين أصحاب الشرائع  
وانما تختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات . وافلاطون يقول ان  
العدالة اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد واحد من اجزاء النفس وذلك  
لحصول فضائلها اجمع فيها فحينئذ تنهض النفس فتؤدي فعلها الخاص بها على  
افضل ما يكون وهو غاية قرب الانسان السعيد من الاله تقديسه .  
قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذي في الفضائل التي تقدم  
ذكرها . لكن لانها في الوسط والجور في الطرفين . وانما صار الجور في  
الطرفين لانه زيادة ونقصان . وذلك ان من شأن الجور طلب الزيادة والنقصان  
معا . اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق . واما النقصان فمن الضار فلذلك يكون  
الجائر مستعملا للزيادة والنقصان . إما لنفسه فيستعمل الزيادة في النافع . واما  
لغيره فيستعمل النقصان منه . واما في الضار فيالضد وعلى العكس . وذلك انه  
اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة والفضائل التي قلنا انها  
اوساط بين الرذائل وهي غايات ونهايات . وذلك أن الوسط ههنا نهاية لها  
من كل جهة فهو في غاية البعد منها ولذلك متى بعد عن الوسط زيادة بعد  
قرب من رذيله كما قلناه فيما تقدم . فقد تبين من جميع ما قدمنا ان الفضائل  
كلها اعتدالات وان العدالة اسم يشملها ويعمها كلها وان الشريعة لما كانت  
تقدر الافعال الارادية التي تقع بالروية وبالوضع الالهي صار المتمسك بها في  
معاملاته عدلا والمخالف لها جائرا . فلماذا قلنا ان العدالة لقب للمتمسك بالشريعة

الا انا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة . فتصور  
الهيئة النفسانية فانك ستري رؤية واضحة ان صاحبها يتقاد ولا محالة للشريعة  
طوعاً ولا يضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ على المناسبات  
التي ذكرناها لانها مساواة وآثرها بعد اجالة الرأي فيها على سبيل الاختيار  
لها والرغبة فيها وجب عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها . واكل ما تكون  
المساواة بين اثنين ولكنها تكون في معاملة مشتركة بينهما وهو الشيء الثالث  
وربما كانا شيئين كما قلنا فتصير المناسبات كما بينا بين أربعة اشياء . وينبغي ان  
يعلم ان هذه الهيئة النفسانية هي غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة . أما الفعل  
فلانا قد بينا أنه قد يقع على غير هيئة نفسانية . كمن يعمل اعمال العدالة وليس  
بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع وأما القوة والمعرفة فلان كل  
واحدة منهما هي بعينها للضدين معاً . فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة  
على الضدين قوة واحدة . واما الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة  
للضد الآخر . ومثال ذلك هيئة الشجاعة فانها غير هيئة الجبن وكذلك هيئة  
العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور . ثم ان العدالة والخيرية  
يشتركان في باب المعاملات والاخذ والاعطاء . الا ان العدالة تقع في اكتساب  
المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها . والخيرية تقع في انفاق المال على  
الشرائط التي ذكرناها أيضاً ومن شأن من يكتسب ان يأخذ فهو بالمنفعل  
أشبهه ومن شأن المنفق ان يعطى فهو بالفاعل أشبهه . فهذه العلة تكون محبة  
الناس للخير أشد من محبتهم للعدل . إلا أن نظام العالم بسبب العدالة أكثر  
منه بالخيرية . وخاصة الفضيلة هي في فعل الخير لافي ترك الشر وخاصة محبة

الناس وحمدهم في بذل المعروف لاني جمع المال . فالخير لا يكرم المال ولا يجمعه  
لذاته بل ليصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحبات والحمد . ومن خاصة  
الخير ان لا يكون كثير المال لانه منافق ولا يكون أيضاً فقيراً لانه كسوب  
من حيث ينبغي وهو غير متكاسل عن الكسب البتة لانه بالمال يصل الى  
فضيلة الخيرية . ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا يشح أيضاً  
فلا يستعمل التقدير : فكل خير عادل وليس كل عادل خيراً

مسألة عويصة أولى

وفي هذا الموضوع مسألة عويصة سأل عنها الحكماء انفسهم وأجابوا  
عنها بجواب مقنع ويمكن ان يجاب فيها بجواب آخر اشد اقناعاً ويجب ان  
نذكر الجميع وهو : ان لشاك ان يشك فيقول اذا كانت العدالة فعلاً اختيارياً  
يتعاطاه العادل ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس فيجب  
ان يكون الجور فعلاً اختيارياً يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة لنفسه  
ومذمة الناس . ومن القبيح الشنيع أن يظن بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار  
بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار . ثم أجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك  
بان قالوا ان من ارتكب فعلاً يؤديه الى ضرر أو عذاب فانه يكون ظالماً  
لنفسه وضاراً لها من حيث يقدر انه ينفعها وذلك لسوء اختياره وترك  
مشاورة العقل فيه . مثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه لاعلى سبيل  
اضرار الاضرار بها بل لانه يظن انه ينفعها في العاجل بالخلع من الاذى  
الذي يلحقه من الحسد . هذا جواب القوم وأما الجواب الاخر فهو ان



الإنسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى بمجموعها انساناً واحداً لم ينكر ان تصدر  
 عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى . وانما المنكر أن يكون الشيء الواحد  
 البسيط ذو القوة الواحدة تقع منه بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات  
 المختلفة ولا بقدر القابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط . فهذا لعمرى  
 منكر شنيع ولكن الانسان قد تين من حاله ان له قوى كثيرة فيعمل بكل  
 قوة عملاً مخالفاً للعمل بالآخرى اعنى ان صاحب الغضب اذا استشاط يختار  
 افعالا مخالفة لافعاله اذا كان ساكناً وديعاً . وكذلك صاحب الشهوة الهائجة  
 وصاحب النشوة الطروب فان من شأن هؤلاء أن يستخدموا العقل الشريف  
 في تلك الاحوال ولا يستشيرونه ولذلك تجرد العاقل اذا تغيرت احواله تلك  
 فصار من الغضب الى الرضا ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال  
 ليت شعري كيف اخترت تلك الافعال القبيحة ويلحقه الندم . وانما ذلك  
 لان القوة التي تهيج به تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحاً له  
 جيلاً به لثم له حركة القوة الهائجة به . فاذا سكن عنها وراجع عقله رأى قبح  
 ذلك الفعل وفساده . وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات  
 ومحبة الكرامات كثيرة جداً فهو بحسب قواه الكثيرة تكون افعاله كثيرة .  
 فاذا تعود الانسان ان تكون سيرته فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد  
 مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله كلها منتظمة  
 غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اتنى المساواة التي قدمنا القول فيها .  
 ولهذا السبب قلنا ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يأنس بالشرعية  
 ويستسلم لها ويتعود جميع ما تأمره به حتى اذا بلغ المبلغ الذي يمكنه به ان

يعرف الاسباب والعلل طالع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عاداته به  
فاستحكم رأيه وقويت بصيرته ونفذت عزيمته

— ❦ —  
مسألة عويصة ثانية ❦ —

وهنا مسألة عويصة أشد من الاولى وهو ان التفضل شيء محمود جداً  
وليس يقع تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد  
حكمتنا ان العدالة تجمع الفضائل كلها ولا مزيد عليها بل يجب أن تكون الزيادة  
عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذي تقدم  
وصفه في سائر الاخلاق حاصلًا للعدالة . فالجواب عنها ان التفضل احتياط  
يقع من صاحبه في العدالة ليامن به وقوع النقص في شيء من شرائطها وليس  
الوسط في كلا الطرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة  
في باب السخاء اذا لم تخرج الى باب التبذير أحسن من النقصان فيه وأشبهه  
بالمحافظة على شرائطه فتصير كالاحتياط فيه والأخذ بالحزم فيه . وأما العفة  
فان النقصان من الوسط فيها أحسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على  
شرائطه وابلغ في الاحتياط عليه وأخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل  
التفضل الا حيث تستعمل العدالة . واعني بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق  
شيئاً منه وترك مواساة من يستحقه لا يسمى متفضلاً بل مضيعاً . وإنما  
يكون متفضلاً اذا اعطى من يستحق كل ما يستحق ثم زاده تفضلاً وهذه  
الزيادة ليست من الزيادة التي ذكرناها في باب السخاء لان تلك الزيادة ذهاب  
الى الطرف الذي يسمى تبذيراً وهو مذموم ويعرف ذلك من حده وهو

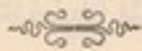
بذل ما لا ينبغي كما لا ينبغي في الوقت الذي لا ينبغي . فاذا التفضل غير خارج  
 عن شرط العدالة بل هو احتياط فيها ولذلك قيل ان المتفضل أشرف من  
 العادل . فقد بان ان التفضل ليس غير العدالة بل هو العدالة مع الاحتياط  
 فيها وكأنه مبالغة لا يخرجها عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير  
 تلك الهيئة بل هي . فأما الاطراف التي هي رذائل أعنى الزيادة والنقصان التي  
 سبق القول فيهما فهي كلها هيئات مذمومة غير الهيئات المحمودة . وحدود  
 هذه الاشياء هي التي تحصل لك معانيها ومشاركة بعضها البعض ومباينة بعضها  
 البعض . وأيضاً فان الشريعة تأمر بالعدالة أمراً كلياً وليست تحط الى  
 الجزئيات واعنى بذلك ان العدالة التي هي المساواة تكون مرة في باب الكم  
 ومرة في باب الكيف وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء  
 مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كانت بالكمية لوجب أن يكونا  
 متساويين في المساحة ولو كانا كذلك لتغالبا وأحال احدهما الآخر الى ذاته  
 وكذلك النار والهواء ولو أحالت هذه العناصر بعضها بعضاً لفتى العالم في اقرب  
 مدة . ولكن البارى تقدر اسمه عدل بين هذه بالقوة فتقاومت فليس  
 يغلب احد الآخر بالكيفية وانما يحيل الجزء منها الجزء في الاطراف أعنى حيث  
 تلتقى نهاياتها . وأما كلياتها فلا تقدر على كلياتها لان قواها متساوية متعادلة  
 على غاية التسوية والتعادل . وبهذا النوع من العدل قيل بالعدل قامت السموات  
 والارض ولو رجح احدهما على الآخر بزيادة يسير قوة لأحال الزائد الناقص  
 وقوى عليه فبطل العالم فسبحان القائم بالقسط لا اله الا هو

### ✽ الشريعة تأمر بالعدالة ✽

ولما كانت الشريعة تأمر بالعدالة الكاملة لم تأمر بالتفضل الكلي بل نذبت إليه ندباً يستعمل في الجزئيات التي لا يمكن أن تعين عليها لانها بلا نهاية وجزمت القول في العدالة الكاية لانها مصورة يمكن أن تعين عليها وقد تبين أيضاً مما قدمنا ان التفضل انما يكون في العدالة التي تخص الانسان في نفسه . أعنى تسوية المعاملة اولاً فيما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلاً ولو كان حاكماً بين قوم ولا نصيب له في تلك الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسهه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان . وتبين أيضاً أن الهيئة التي تصدر عنها الافعال العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة واذا نسبت الى من يعامله بها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية . فاستعمال المرء العاقل العدل على نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه . وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبيننا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا هاج به بعضها واثرتنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وأن بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها بطلب الكرامات الكثيرة وأنها اذا تغالبت وتهايجت حدث في الانسان باضطرابها أنواع الشر وجذبته كل واحدة منها الى ما يوافقها وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدها . وارسطوطاليس يشبه من كان كذلك بمن يجذب من جهات كثيرة فيقطع بينها وينشق بحسب تلك الجهات وقواها . وليس ينظم هذه الكثرة التي ركب الانسان منها إلا الرئيس الواحد الموهوب

له من الفطرة . اعنى العقل الذى به تميز من البهائم وهو خليفة الله عز وجل  
عنده فان هذه القوى كلها إذا ساسها العقل انتظمت وزال عنها سوء النظام  
الذى يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرنا من اصلاح الاخلاق مبنى عليه . فاذا  
تم للانسان ذلك اعنى ان يعدل على نفسه واحرز هذه الفضيلة فقد لزمه  
ان يعدل على اصدقائه واهله وعشيرته ثم يستعمله في الابعاد وسائر الحيوان  
واذ قد صح ذلك وظهر ظهوراً حسياً فقد ظهر بظهوره ان شر الناس من  
جار على نفسه ثم على اصدقائه وعشيرته ثم على كافة الناس والحيوان لان العلم  
بأحد الضدين هو العلم بالضد الآخر . نخير الناس العادل وشرم الجائر كما  
تبين ذلك . وقد ادعى قوم ان نظام امر الموجودات كلها وصلاح احوالها  
معلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه الفضيلة اعنى الهيئة  
التي تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فاته شرف المحبة . ولو كان  
المتعاملون احباء لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف . وذلك ان الصديق يحب صديقه  
ويريد له ما يريد لنفسه ولا تتم الثقة والتعاقد والتوازر الا بين المتحابين .  
واذا تعاضدوا وجمعهم المحبة وصلوا الى جميع المحبوبات ولم يتعذر عليهم  
المطالب وان كانت صعبة شديدة . وحينئذ ينشئون الآراء الصائبة وتعاون  
العقول على استخراج الغوامض من التدابير القويمية ويتقوون على نيل الخيرات  
كلها بالتعاقد . وهؤلاء القوم انما نظروا الى فضيلة التأحد التي تحصل بين  
الكثرة ولمعروا انها اشرف غايات اهل المدينة . وذلك انهم اذا تحابوا تواصلوا  
وأراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريد لنفسه فتصير القوى الكثيرة  
واحدة ولم يتعذر على احد منهم رأى صحيح ولا عمل صواب ويكون مثلهم

في جميع ما يحاولونه مثل من يريد تحريك ثقل عظيم بنفسه فلا يطيق ذلك . فان استعان بقوة غيره حركه . ومدبر المدينة انما يقصد بجميع تدابيرها ايقاع المودات بين اهلها واذا تم له هذا خاصة فقد تمت له جميع الخيرات التي تتعذر عليه وحده على افراد اهل مدينته وحينئذ يغلب اقرانه ويعمر بلدانه ويعيش وهو ورعيته مغبوطين . ولكن هذا التأحد المطلوب بهذه المحبة المرغوب فيها لا يتم الا بالآراء الصحيحة التي يرحى الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات القوية التي لا تحصل الا بالديانات التي يقصد بها وجه الله عز وجل واصناف المحبات كثيرة وان كانت ترتقى كلها الى وجه واحد وسنقول فيها بمعونة الله فيما يتلو هذه المقالة ان شاء الله



المقالة الخامسة

( التعاون والائحاد )

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون الى تماماتها ولا سبيل لافرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه كما شرحناه فيما مضى فالحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال تجمع وتؤلف بين اشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له .

— ❦ المحبة ❦ —

وللمحبة أنواع واسبابها تكون بمدد أنواعها . فاحد أنواعها ما ينعقد سريعاً وينحل سريعاً . والثاني ما ينعقد سريعاً وينحل بطيئاً . والثالث ما ينعقد بطيئاً وينحل سريعاً . والرابع ما ينعقد بطيئاً وينحل بطيئاً . وإنما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلاثة ويتركب بينها رابع وهي اللذة والخير والمنافع والمتركب منها . واذا كانت هذه غايات الناس في مقاصدهم فلا محالة انها اسباب المحبة من عاون عليها وصار سبباً للوصول اليها فقد أفلح : فأما المحبة التي يكون سببها اللذة فهي التي تنعقد سريعاً وتنحل سريعاً . وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا أمرها فيما تقدم وأما المحبة التي سببها الخير فهي التي تنعقد سريعاً وتنحل بطيئاً . وأما المحبة التي سببها المنافع فهي التي تنعقد بطيئاً وتنحل سريعاً . وأما التي تتركب من هذه اذا كان فيها الخير فانها تنحل بطيئاً وتنعقد بطيئاً . وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة وروية وتكون فيها مجازاة ومكافأة . فأما التي تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالأحرى بها أن تسمى الفأ وتقع بين الاشكال منها خاصة . وأما التي لا نفوس لها من الاحجار وأمثالها فليس يوجد فيها إلا الميل الطبيعي الى مراكزها التي تخصها . وقد يوجد أيضاً بينها منافرة ومشاكلة بحسب أمزجتها الحادثة فيها من عناصرها الأولى وهذه الأمزجة كثيرة واذا وقع منها شيء يتناسب نسبة تأليفية أو عددية أو مساحية حدثت بينها ضروب من المشاكلة . واذا كان اضداد هذه النسب حدثت بينها منافرة وتحدث لها

اشياء تسمى خواص وهي افعال بديهة وهي التي تسمى أسرار الطبائع ولا سيما في النسب التأليفية فانها اشرف النسب بعد نسبة المساواة ولها اضداد أعني هذه النسب . وهي مبينة مشروحة في صناعة الارتماطيتي ثم في صناعة التأليف . وأما الامزجة التي بحسب هذه النسب فهي خفية عنا وعسرة المرآم وقد ادعى قوم الوصول اليها . وليست تكون هذه الافعال والخواص التي تحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة في العناصر انفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا . وانما ذكرناها هنا لانها تشبه المشاكلات والمنافرات التي بين الحيوان في الظاهر والنسبة التي تحدث بين الناس بالارادة وهي التي نتكلم فيها ويقع فيها مكافأة ومجازاة

### ❦ الصداقة ❦

الصداقة نوع من المحبة إلا أنها أخص منها وهي المودة بينهما وليس يمكن ان تقع بين جماعة كثيرين كما تقع المحبة . وأما العشق فهو افراط في المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع إلا بين اثنين فقط ولا يقع في الزافع ولا في المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحبة اللذة بافراط ومحبة الخير بافراط واحدهما مذموم والآخر محمود فالصداقة بين الاحداث ومن كان في مثل طباعهم انما تحدث لاجل اللذة فهم يتصادقون سريعاً ويتقاطعون سريعاً وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان القليل مراراً كثيرة . وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ومعاودتها حالاً بعد حال . فاذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة بالوقت وفي الحال . والصداقة من



المشائخ ومن كان في مثل طباعهم انما تقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها فاذا كانت المنافع مشتركة بينهم وهي في الاكثر طويلة المدة كانت الصداقة باقية . فحين تنقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم من المنفعة المشتركة تنقطع موداتهم . والصداقة بين الاخيار تكون لأجل الخير وسببها هو الخير . ولما كان الخير شيئاً غير متغير الذات صارت مودات اصحابه باقية غير متغيرة . وأيضاً لما كان الانسان مركباً من طبائع متضادة صار ميل كل واحد منها يخالف ميل الآخر . فاللذة التي توافق احداها تخالف لذة الاخرى التي تضادها فلا تخلص له لذة غير مشوبة بأذى . ولما كان فيه أيضاً جوهر آخر بسيط الهى غير مخالف لشيء من الطبائع الاخرى صارت له لذة غير مشابهة لشيء من تلك اللذات وذلك انها بسيطة أيضاً . والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى تصير عشقاً تاماً خالصاً شبيهاً بالوله . وهي المحبة الالهية الموصوفة التي يدعيها بعض المتألمين وهي التي يقول فيها ارسطوطاليس حكاية عن ابرفليطس : « ان الاشياء المختلفة لا تتشاكل ولا يكون منها تأليف جيد . وأما الاشياء المتشاكله وهي التي يسر بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فأقول عنها . ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تألفت واذا تألفت صارت شيئاً واحداً لا ذيرية بينها اذ الذيرية انما تحدث من جهة الهيولى . وأما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التألف فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها . وذلك انها تلتقي بنهاياتها وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذ كان التأحد فيه ممتعاً . وانما تتأحد بنحو استطاعتها اعني ملاقاته سطوحها .

فاذا الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم تجذبه انواع الشهوات واصناف محبات الكرامات اشتاق الى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا تشوبه مادة فأسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة وبصير الى معنى الاتحاد الذي وصفناه استعمل الطبيعة البدنية أم لم يستعملها . إلا انه بعد مفارقتها للطبيعة بالكيفية احق بهذه المرتبة العالية لانه ليس يصفو الصفاء التام إلا بعد منارقاته الحياة الدنيوية . ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان ولا تتدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملك ولا تكون إلا بين الاخيار فقط . وأما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة فقد تكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار . إلا انها تنقضى وتحل مع تقضى المنافع واللذائذ لانها عرضية وكثيراً ما تحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة . إلا انها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما جرى مجراها . والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان آنس بالطبع وليس بوحشى ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان في اللغة العربية وقد تين ذلك في صناعة النحو وليس كما قال الشاعر :

\* سميت انساناً لانك ناس \*

فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه .  
وينبغي ان يعلم ان هذا الانس الطبيعي في الانسان هو الذي ينبغي ان نحرص عليه ونكتسبه مع ابناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا فانه مبدأ المحبات كلها

### ﴿ الشريعة تدعو الى الانس والمحبة ﴾

وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المادب ليحصل لهم هذا الانس . والشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم . وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على أهل كل محلة وسكة . والدليل على ان غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه انه اوجب على أهل المدينة بأسرها ان يجتمعوا في كل أسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ليجمع أيضا شمل أهل المحال والسكك في كل أسبوع كما اجتمع شمل أهل الدور والمنازل في كل يوم . ثم اوجب ايضا ان يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى والرساتيق المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارزين مصحرين يسعهم المكان ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم . ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يمين من العمر وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع أهل المدن المتباعدة كما اجتمع أهل المدينة الواحدة ويصير حالهم في الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك الى الانس الطبيعي والى الخيرات المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هدامم ويفتبطوا بالدين القويم القيم الذي تقوى الله وطاعته .

— الخليفة يحرس الدين —

والقائم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا تزول  
 عن اوضاعها هو الامام وصناعته هي صناعة الملك . والاوائل لا يسمون  
 بالملك الا من حرس الدين وقام بحفظ مراتبه وأوامره وزواجه . وأما من  
 اعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا يؤهلونه لاسم الملك وذلك ان الدين هو  
 وضع الهى يسوق الناس باختيارهم الى السعادة التصوى . والملك هو حارس هذا  
 الوضع الالهى حافظ على الناس ما اخذوا به . وقد قال حكيم الفرس ومملكهم  
 از دشير « ان الدين والملك اخوان توأمان لا يتم احدهما الا بالآخر . فالدين أس  
 والملك حارس . وكل مالا أس له فهدوم . وكل مالا حارس له فضائع » . ولذلك  
 حكمنا على الحارس الذي نصب للدين ان يتيقظ في موضعه ويحكم صناعته  
 ولا يباشر أمره يلهوينا ولا يشتغل بلذة تخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة  
 الا من وجهها . فانه متى اغفل شيئا من حدوده دخل عليه من هنالك الخلل  
 والوهن . وحينئذ تبدل اوضاع الدين ويجد الناس رخصة في شهواتهم ويكثر  
 من يساعدهم على ذلك فتتقلب هيئة السعادة الى ضدها ويحدث بينهم  
 الاختلاف والتباغض فأداهم ذلك الى الشتات والفرقة وبطل الفرض  
 الشريف وانتقض النظام الذي طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فاحتيج  
 حينئذ الى تجديد الامر واستئناف التدبير وطلب الامام الحق والملك العدل  
 ونعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول :

### اجناس المحبات واسبابها

ان هذه الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين وكانت واحدة بعينها جاز في الشئين ان ينعقدوا معا وينحلا معا وجاز ايضاً ان يبقى احدهما وينحل الآخر . مثال ذلك ان اللذات المشتركة بين الرجل والمرأة هي سبب للمحبة بينهما فقد يجوز ان تجتمع المحبات لان السبب واحد وهي اللذة . وقد يجوز ان تنقطع احدهما وتبقى الاخرى وذلك ان اللذة تتغير ولا تكاد ثابت كما تقدم وصفها . فقد يجوز ان يتغير سبب احدى المحبتين ويثبت الآخر . وايضاً فان بين الرجل وبين زوجته خيرات مشتركة ومنافع مختلفة وهما يتعاونان عليها اعني الخيرات الخارجة عنها وهي الاسباب التي تعمر بها المنازل . فالمرأة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذي يكتسبها وبحضرها . واما الرجل فانه ينتظر من زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هي التي تحفظها وتدبرها لتثمر ولا تضع فتى قصر احدهما اختلقت المحبة وحدثت الشكايات ولا تزال كذلك الى ان تنقطع او تبقى مع الشكايات والملامة . وكذلك حال المنفعة المشتركة بين الناس اذا كانت واحدة بعينها . واما المحبات المختلفة التي اسبابها مختلفة فهي اولى بسرعة التحلل . ومثال ذلك ان تكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الآخر لاجل اللذة كما يعرض ذلك للمعاشرين على ان احدهما مغنى والآخر مستمع فان المغنى منها يجب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منها يجب المغنى لاجل اللذة . وكما يعرض ايضاً بين العاشق والمعشوق اللذين احدهما ياتئذ بالنظر والآخر ينتظر . المنفعة وهذا الصنف

من المحبة يعرض فية ابدأ التشكي والتظلم . وذلك ان طالب اللذة يتعجل  
 مطلوبه وطالب المنفعة يتأخر عنه ولا يكاد يعتدل الامر بينهما . لذلك ترى  
 العاشق يشكو معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغي أن يشتكي لانه  
 يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافأة بما يستحق صاحبه . والمحبة اللوامة  
 كثيرة الانواع الا أن الاصل فيها ما ذكرت . وبوشك أن تكون المحبة بين  
 الرئيس والمرؤوس والغنى والفقير تعرض لها الملامة والتوبيخ لاجل اختلاف  
 الاسباب ولأن كل واحد ينتظر من المكافأة عند الآخر ما لا يجده عنده  
 فيقع فساد في النيات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات . ويزيل ذلك طلب العدالة  
 ورضاء كل واحد بما يستحقه من الآخر وبذل كل واحد للآخر العدل  
 المبسوط بينهما . والماليك خاصة لا يرضيهم من مواليتهم الا ان زيادة الكثيرة  
 في الاستحقاق وكذلك الموالى يستبطنون العيب في الخدمة والشفقة والنصيحة  
 وفي جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير . فهذه المحبة اللوامة لا يكاد يخلوا  
 الانسان منها الا على شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضاء به  
 وهو صعب

— ❦ —  
 ❦ محبة الاخيار ❦ —

واما محبة الاخيار بعضهم بعضاً فانها تكون لا للذة خارجة ولا لمنفعة  
 بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهي قصد الخير والناس الفضيلة . فاذا أحب  
 أحدهم الآخر لهذه المناسبة لم تكن بينهم مخالفة ولا منازعة ونصح بعضهم  
 بعضاً وتلاقوا بالعدالة والتساوى في ارادة الخير وهذا التساوى في النصيحة

وإرادة الخير هو الذي يوحد كثيرتهم. ولهذا حد الصديق بأنه آخر هوانت  
 الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث  
 والعوام ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة والمنفعة  
 ولا يعرفون الخير بالحقيقة واغراضهم غير صحيحة \* وأما السلاطين فانهم  
 يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقهم فلا يدخلون  
 تحت الحد الذي ذكرناه وفي صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيزة الوجود  
 عندهم . وكذلك محبة الوالد للولد والولد للوالد فان انواع هذه المحبة مختلفة  
 وأسبابها أيضاً مختلفة كما قلنا الا أن محبة الوالد للولد والولد للوالد وان كان  
 بينهما اختلاف مامن وجه فان بينهما اتفاقاً ذاتياً . واعنى بالذاتي ههنا ان الوالد  
 يرى في ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التي تخصه من الانسانية في شخص  
 ولده نسخاً طبيعياً ونقل ذاته الى ذاته نقلاً حقيقياً . وحق له ان يرى ذلك  
 لان التدبير الالهى بالسياسة الطبيعية التي هي سياسته عز وجل هو الذي عاون  
 الانسان على انشاء الولد وجعله السبب الثاني في إيجاده ونقل صورته الانسانية  
 اليه . ولذلك يحب الوالد لولده جميع ما يحبه لنفسه ويسعى في تأديبه وتكميله  
 بكل ما فاته في نفسه طول عمره . ولا يشق عليه أن يقال له ولدك افضل  
 منك لانه يرى انه هو هو . وكما ان الانسان اذا تزايد في نفسه حالاً فخلاً  
 وترقى في الفضيلة درجة فدرجة لا يشق عليه ان يقال له انك الآن افضل مما  
 كنت بل يسره ذلك كذلك تكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك . ثم  
 تفضل ايضاً محبة الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبأنه يعرفه منذ أول  
 تكوينه ويستبشر به وهو جنين ثم تزداد محبته له مع التربية والنشأة ويتأكد

سروره به وتأمله له . ويحدث له اليقين بأنه باق به صورة وان فنى بجسمه  
 مادة وهذه المعاني الجليلة عند اهل العلم تتراءى للعوام كأنها من وراء ستر .  
 واما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه الرتبة بان الولد مفعول وبانه  
 لا يعرف ذاته ولا فاعل ذاته الا بعد زمان طويل وبعد ان يستثبت أباه حسا  
 وينتفع به دهرا ثم يعقل بعد ذلك أمره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره  
 في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبة لهما ولهذا العلة وصى الله عز وجل  
 الولد بوالده ولم يوص الوالد بولده . واما محبة الاخوة بعضهم لبعض فلان  
 سبب تكوينهم ونشؤهم واحد بعينه

✽ نسبة الملك الى رعيته ✽

ويجب ان تكون نسبة الملك الى رعيته نسبة أبوية ونسبة رعيته اليه  
 نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى بعض نسبة اخوية حتى تكون السياسات  
 محفوظة على شرائطها الصحيحة . وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة  
 الاب لا اولاده ومعاملته اياهم تلك المعاملة . وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده  
 بياناً اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك في موضع آخر . وعنايته برعيته يجب  
 ان تكون مثل عناية الاب باولاده شفقة ومحنناً وتعهداً وتعطفاً خلافة  
 لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل لمشرع الشريعة تعالى ذكره في الرأفة  
 والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم وبالجملة  
 في كل ما يجلب الخير ويمنع الشر . فانه عند ذلك تجبه رعيته محبة الاولاد  
 للأب الشفيق وتحدث بينهما تلك النسبة وانما تختلف هذه المحبات بالتفاضل



الذي يكون بعظم المنافع. فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية. ويكرم السلطان كرامة سلطانية. ويكرم الناس بعضهم بعضاً كرامة اخوية. ولكل مرتبة من هذه استئصال خاص بها واستحقاق واجب لها. فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد وانتقلت الرياسات وانعكست الامور فيعترض لرياسة الملك ان تنتقل الى رياسة التغلب ويتبع ذلك ان تنتقل محبة الرعية الى البغض له ويعرض لرياسات من دونه مثل ذلك. فتصير محبة الاخيار الى تباغض الاشرار وتعود الالفة نفاراً والتواد نفاقاً ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيراً له وان اضر بغيره وتبطل الصداقات واخير المشترك بين الناس ويؤول الامر الى المهرج الذي هو ضد النظام الذي ربه الله خلقه ورسنه بالشريعة وأوجبه بالحكمة البالغة

— — — — —  
 ❦ المحبة التي لا تطرأ عليها الآفات ❦

وأما المحبة التي لا تشوبها الانفعالات ولا تطرأ عليها الآفات وهي محبة العبدخالقه عز وجل فانها انما تخلص للعالم الرباني وحده خاصة ولا سبيل لغيره اليها إلا بالدعوى الكاذبة. وكيف يجد الانسان السبيل الى محبة من لا يعرفه ولا يعرف ضروب انعامه الدارة عليه ووجوه احسانه المتصلة به في بدنه ونفسه اللهم إلا ان يتصور في نفسه صنماً ويظنه الخالق عز وجل فيحبه ويبيده فان اكثر الناس كما قال تعالى : ( وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) ولعمري ان العامة تدعى المعرفة والمحبة وهم يتصورون شخصاً وشجراً فتكون عبادتهم له دون الله وهذا هو الضلال البعيد. ومدعو هذه المحبة كثيرون

جداً والمحققون منهم قليلون جداً بل هم اقل من القليل . وهذه المحبة لا محالة  
 تتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامها  
 وطاعتها . وليس يرتقي الى مرتبتهما شيء من المحبات الاخر إلا محبة الحكماء  
 عند تلامذتهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى والمحبة الثانية . وذلك ان المحبة  
 الاولى لا يبلغها شيء من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شيء من الاسباب  
 والنعم التي تأتي من قبلها لا يشبهها شيء من النعم . وأما المحبة الثانية فهي تتلوها  
 لان سببها هو السبب الثاني في وجودنا الحسي اعني ابداننا وتكويننا .  
 وأما محبة الحكماء فهي اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل ان تربيتهم هي  
 لنفوسنا وهم الاسباب في وجودنا الحقيقي وبهم وصولنا الى السعادة التامة  
 التي نلنا بها اللقاء الابدی والنعيم السرمدي في جوار رب العالمين . فبحسب  
 فضل انعامهم علينا وبقدر فضل النفوس على الابدان تجب حقوقهم وتلزم  
 طاعتهم ومحبتهم وليس يبلغ احد جزاء ولا مكافأة الاول ولا ما يستأهله  
 الثاني اعني الوالدين وان هو اجتهد وبالغ ولا يؤدي حقوقهما ابدأ وان  
 خدم بأقصى طاقته وغاية وسعه \* وأما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ  
 الصالح للمعلم الخير فانها من جنس المحبة الاولى وفي طريقها . وذلك لاجل  
 الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه وللرجاء الكريم الذي لا يتحقق إلا  
 بعنايته ولا يتم إلا بمطالعة . ولانه والدروحاتي ورب بشري واحسانه احسان  
 اهي ذلك انه يريه بالفضيلة التامة وينذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحياة  
 الابدية والنعيم السرمدي . واذا كان هو السبب في كل وجودنا العقلي وهو  
 المرئي لنفوسنا الروحية فبحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل

المنعم بذلك وبقدر فضلها على البدن يكون فضل التربية على التربية فيحق ان  
يجب التلميذ معلم الحكمة محبة خالصة شبيهة بالمحبة الاولى . ولذلك قلنا ان  
هذه المحبة من جنس تلك المحبة الاولى والطاعة له من جنس تلك الطاعة  
وكذلك تعظيمه له واجلاله اياه . ثم لما كان سبب هاتين النعمتين ومعرّضنا  
لها وسائقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الخيرات  
كلها قربت منا أو بعدت عنا عرفناها أولم نعرفها وجب ان تكون محبتنا له  
في اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتمجيدنا اياه . ويجب على من بلغ  
هذه المنزلة من الاخلاق أن يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد  
من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس الاجنبي ولا كرامة الصديق  
للسلطان ولا كرامة الولد للعشير ولا كرامة الاب لابن . فان لكل واحد من  
هؤلاء واشباههم صنفاً من الكرامة وحقاً من الجزاء ليس للآخر ومتى خلط  
فيه اضطرب وفسد وحدثت الملامات واذا وفي كل واحد منهم حقه وقسطه  
من المحبة والخدمة والنصيحة كان عادلاً وأوجبت له محبته وعدالته فيها محبته  
لصاحبه ومعامله . وكذلك يجب ان يجري الامر في مؤانسة الاصحاب  
واخلطاء والمعاشرين من توفية حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم . ومن غش  
المحبة والصداقة كان اسوأ حالاً ممن غش الدرهم والدينار . فان الحكيم ذكر  
ان المحبة المغشوشة تتحل سريعاً وتفسد وشيكاً كما ان الدرهم والدينار اذا كانا  
مغشوشين فسداً سريعاً وهذا واجب في جميع انواع المحبات . ولذلك يتعاطى  
العاقل ابد انمطاً واحداً ويلزم مذهباً واحداً في ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله  
من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراعه عند نفسه . واما صديقه فقد قلنا

انه هو هو الا انه غير بالشخص اما سائر مخالطيه ومعارفه فانه يسلك بهم  
مسلك اصدقائه كأنه مجتهد في أن يبلغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة  
وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم . فهذه سيرة الخير في نفسه وفي رؤسائه  
واهله وعشيرته واصدقائه وسلطانته

### الشرير ❧

واما الشرير فانه يهرب من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي  
حصلت له ولحبة البطالة وانتكاسه عن معرفة الخير والتميز بينه وبين الشر وبين  
ما هو مطنون عنده خيراً وليس بخير . ومن كان على هذه الحالة من الشر  
ورداءة الهيئة كانت افعاله كلها رديئة . ومن كانت ذاته رديئة هرب من ذاته  
لاجل ان الرداءة مهووب منها واضطر الى صحبة قوم يناسبونه ليفنى عمره  
معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجده فيها من الاضطراب والقلق . ذلك  
ان هؤلاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم تذكروا افعالهم الرديئة وهاجت بهم القوى  
المتضادة التي تدعوهم الى ارتكاب الشرور المتضادة فيألمون من ذواتهم وتتشاغب  
نفوسهم كل الشغب وتجذبهم القوى التي فيهم وهي التي لم يروضوها بالادب  
الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الرديئة وطالب الكرامات التي لا يستحقونها  
والشهوات الرديئة التي تهلكهم سريعاً . فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات  
مختلفة أحدثت فيهم آلاماً كثيرة لانه لا يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى  
ويسخط في حال واحدة ولا يستطيع أن يؤلف بين الاضداد حتى تجتمع له  
فهو من شقائه يهرب من ذاته لانها رديئة فاسدة متألمة كثيرة الشغب عليه

ويلتمس لعشرته ومخالطة من هو مثله او أسوأ حالا منه فيجد للوقت راحة به وسكونا اليه لاجل المشاكاة ثم يعود بعد قليل وبالأعلى عليه وزيادة في خياله وفساده فيألم به ويهرب منه فليس له محب ولا ذاته ولا له نصيح ولا نفسه وليس يتحصل الاعلى الندامة ولا يرجع الا الى الشقوة

الخير الفاضل

وأما الرجل الخير الفاضل فان سيرته جيدة محبوبة فهو يحب ذاته وافعاله ويسر بنفسه ويسر به أيضاً غيره ويختار كل انسان مواصلته ومصادقته فهو صديق نفسه والناس اصدقاؤه وليس يضاده الا الشرير فقط ويعرض لمن هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصد وبغير قصد . وذلك ان افعاله لذيدة محبوبة والذيد المحبوب مختار فيكثر المقبولون عليه والمحتفون به والآخذون عنه . وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويزايد على الايام ولا ينتقص . وأما الاحسان العرضي الذي ليس بخاتي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلاحق فيه اللوم . والمحبة التي تعرض منه تلاحق بالمحبات اللوامة . ولذلك يوصى صاحبه بتربيته فيقال له تربية الصنعة اصعب من ابتدائها . والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن . واستدل ارسطو طاليس على ذلك بان المقرض وصانع المعروف يهتم كل واحد منهما بمن افرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهد انهما ويحبان سلامتهما . اما المقرض فربما أحب سلامة المقرض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة

القرض خير  
المقرض  
المقرض  
المقرض

والبقاء وسبوغ النعمة ليصل الى حقه . وأما المقترض فليس يعنى كبير عناية  
 بالمقترض ولا يدعو له بهذه الدعوات وأما مصطنع المعروف فإنه بالحق الواجب  
 يود الذي اصطنع اليه معروفه وان لم ينتظر منه منفعة . ذلك أن كل صانع  
 فعل جيد محمود يجب مصنوعه فاذا كان مصنوعه مستقيماً جيداً وجب أن  
 يكون محبوباً في الغاية . فقد تبين أن محبة المحسن أشد من محبة المحسن اليه .  
 وأما المحسن اليه فشهوته للاحسان أشد وازيد من شهوة المحسن . وايضاً فإن  
 المحبة المكتسبة بالاحسان المرباة على طول الزمان تجرى مجرى القنيات التي  
 يتعب بتحصيلها فان ما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب تكون المحبة له  
 أشد والضم به أكثر . ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكثر به ولم يشح  
 عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجرى مجراهم . واما من  
 وصل اليه بتعب وسافر في طلبه وشقى بجمعه فإنه لا محالة يكون شديد الضم به  
 والمحبة له . ولهذا العلة صارت الأم أكثر محبة للولد من الأب ويعرض لها  
 من الحنين والوله أضعاف ما يعرض للأب . وبهذا النوع من المحبة يحب الشاعر  
 شعره ويعجب به أكثر من اعجاب غيره وكل فاعل فعل يتعب به فهو يحب  
 فعله . وايضاً فإن المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل والآخذ منفعل والمعطي  
 فاعل فمن هذه الوجوه يتبين ان مصطنع المعروف يجب من احسن اليه حياً  
 شديداً . ومن الناس من يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه . ومنهم من  
 يصطنعه لاجل الذكر الجميل . ومنهم من يصطنعه رياء فقط . ومن الذين ان  
 اعلام مرتبة من صنعه لذاته اعنى لذات الخير . وصاحب هذه الرتبة لا يعرف  
 الذكر الجميل والثناء الباقي ومحبة من لم يصطنع المعروف عنده وان لم يقصد

التوسل  
 ومن التوسل  
 وهو جعل  
 فكله  
 فكله

حب الأم  
 حب الأب  
 حب الأب

انواع  
 ضائل الخبر  
 حركات

ذلك الفعل ولا بالنية . ولما حكمنا فيما تقدم حكما مقبولا لا يردده أحد وهو ان كل انسان يجب نفسه وكانت هذه المحبة لاحالة تنقسم بالاقسام الثلاثة التي ذكرناها اعني اللذة والمنافع والخير وجب من ذلك أن لا يوجد من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل فالافضل منها . فلا يدري كيف يحسن الى نفسه التي هي محبوبته فيقع في ضروب من الخطأ لجهله بالخير الحقيقي . ولذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم سيرة الكرامة والمنافع لانهم لا يعرفون ما هو افضل منها . وأما من عرف سيرة الخير وعلو مرتبته فهو لاحالة يختار لنفسه افضل السير واكرم الخيرات فلا يؤثر اللذات البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه فانها عرضية كلها ومستجيبة ومنحلة لكنه يختار لها اتم الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذي لها بالذات أعني الذي ليس بخارج عنها وهو الذي ينسب الى جزئه الالهي ومن سار بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها وانزلها في الشرف الاعلى واهلها لقبول الفيض الالهي واللذة الحقيقية التي لا تفارقه أبدا . واذا كان بهذه الحال فهو لاحالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينعم غيره ببذل الاموال والسماحة بجمع ما يتشاح الناس عليه ويخص اصدقاءه من ذلك بكل ما يضييق عنه ذرع اصحاب السير الباقية فيصير معظما عند كل واحد ولا سيما عند صديقه . وقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى المدني فاذا بالواجب يكون تمام سعادته الانسانية عند اصدقاءه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال أن يصل مع الوحدة والتفرد الى سعادته التامة

## ❦ الاصدقاء ❦

فالسعيد اذاً من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب  
 بهم ما لا يقدر ان يكتسبه لذاته فيلتذ بهم ايام حياته ويلتذون أيضاً به . وقد  
 شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية إلهية غير منجدة ولا متغيرة وهؤلاء في جملة  
 الناس قليلون جداً . وأما اصحاب اللذات البهيمية والنافع فيها فكثيرون جداً  
 وقد يكتفى من هؤلاء بالقليل كالأبازير في الطعام وكل الملح خاصة . وأما الصديق  
 الاول الذي ذكرنا وصفه فلا يمكن أن يكون كثيراً لغزته ولانه محبوب  
 بافراط وافراط المحبة لا يصح ولا يتم الا لواحد . واما حسن العشرة وكرم  
 اللقاء والسعي لكل احد بسيرة الصديق الحقيقي فبذول لاجل طلب القضيلة  
 ولأننا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل يسلك في عشرة معارفه مسلك  
 الصديق وان لم تتم الصداقة الحقيقية فيهم . وارسطوطاليس يقول : ( ان  
 الانسان محتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال . فعند سوء  
 الحال يحتاج الى معونة الاصدقاء وعند حسن الحال يحتاج الى المؤانسة والى  
 من يحسن اليه ) . ولعمري ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويضع  
 احسانه عنده كما ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويضع عنده  
 المعروف . قال : ( ومن اجل فضيلة الصداقة يشارك الناس بعضهم بعضاً  
 ويتعاشرون عشرة جميلة ويجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات ) ولما  
 سقراطيس فانه قال بهذه الالفاظ : ( اني لأكثر التمتع بمن يعلم أولاده  
 أخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض وذكر الحروب والضمان ومن انتقم



أو وثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل  
من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس . وانه لا يستطيع احد من  
الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها . فان ظن احد  
ان امر المودة صغير فالصغير من ظن ذلك ، وان قدر انه موجود ويسير  
الخطب يدرك بالهويناء فما اصبه وما اعسر وجود صداقة يوثق بها عند البلوى  
ثم قال : ( لكني اعتقد وأقول ان قدر المودة وخطرها عندي اعظم من جميع  
ذهب كنوز قارون ومن ذخائر الملوك ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض  
من الجواهر وما تحويه الدنيا براً وبحراً وما يتقبلون فيه من سائر الامتعة  
والاثاث . ولا يعدل جميع ذلك ما اخترته لنفسي من فضيلة المودة . وذلك  
ان جميع ما احصيته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة في صديقه .  
وافهم من الصديق ههنا انه آخر هو أنت سواء كان اخاً من نسب او غربياً  
او ولداً او والداً ولا يقوم له جميع ما في الارض مقام صديق يثق به في مهم  
يساعده عليه سعادة عاجلة أو آجلة تتم له . فطوبى لمن اوتي هذه النعمة العظيمة  
وهو خلو من السلطان . واعظم طوبى لمن اوتيه في سلطان . ذلك ان من  
باشر امور الرعية وأراد ان يعرف احوالهم وينظر في امورهم حتى النظر لن  
يكفيه اذنان ولا عينان ولا قلب واحد فان وجد اخواناً ذوي ثقة وجد بهم  
عيوناً واذاناً وقلوباً كأنها باجمعها له فقربت عليه اطرافه واطلع من ادنى امره  
على اقصاه ورأى الغائب بصورة الشاهد . فأنى توجد هذه الفضيلة الا عند  
الصديق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق ؟ )

### ﴿ كيف يختار الصديق ﴾

واذ قد عرفنا هذه النعمة الجليلة الخطيرة فيجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف نحتفظ بها لئلا يصيبنا فيها ما أصاب الرجل الذي ضرب به المثل حين طلب شاة سمينة فوجدها وارمة فاعتز بها وظن الورم سمنا فأخذه الشاعر فقال :

أعيدها نظرات منك صادقة ان تحب الشحم فيمن شحمه ورم

لا سيما وقد علمنا ان الانسان من بين الحيوان يتصنع حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ما له وهو بخيل ليقال هو جواد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع . واما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة للناس من اول الامر لا يتصنع فيها . وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنبات فانها تشبهه في عينه حتى ربما تناول منها شيئاً وهو يظنه حلوا فاذا طعمه وجدده مرأاً وربما ظنه غذاء فيكون سماً . فينبغي لنا ان نحذر ركوب الخطر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا تقع في مودة الموهين الخداعين الذين يتصورون لنا بصورة الفضلاء الاخيار . فاذا حصلونا في شباكهم افترسوننا كما تفرس السباع اكيلتها . والطرق الى السلامة من هذا الخطر بحسب ما أخذناه عن سقراطيس اذا اردنا ان نستفيد صديقاً ان نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته وعشيرته فان كان صالحاً معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك واياه . قال : ( ثم اعرف بعد ذلك سيرته مع اصدقائه قبلك فأضفها الى سيرته مع اخوته وآبائه . ثم تتبع امره

في شكر من يجب عليه شكره او كفره النعمة . ولست اعنى بالشكر المكافأة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكفى بما يستطيع وبما يقدر عليه ويغتم الجميل الذي يسدى اليه ويراه حقاً له أو يتكاسل عن شكره باللسان . وليس أحد يتعذر عليه نشر النعمة التي تتولاه والثناء على صاحبها والاعتداد له بها . وليس شيء أشد احتياجاً للنعم من الكفر وحسبك ما اعدده الله لكافر نعمته من النعم مع تعاليه عن الاستضرار بالكفر . ولا شيء اجلب للنعمة ولا أشد تبيهاً لها من الشكر وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائهم عن الشكر . فتعرف هذا الخلق ممن تريد مؤاخاته واحذر ان تبغى بالكفر للنعم ولا تكن بالمستحقر لأيدى الاخوان واحسان السلطان . ثم انظر الى ميله الى الراحة وتباطئه عن الحركة التي فيها ادنى نصب . فان هذا خلق رديء ويتبعه الميل الى اللذات فيكون سبباً للتقاعد عما يجب عليه من الحقوق . ثم انظر نظراً شافياً في محبته للذهب والفضة واستهائه بجمعها وحرصه عليهما فان كثيراً من المتعاشرين يتظاهرون بالمحبة ويتهادون ويتناصحون فاذا وقعت بينهم معاملة في هذين الحجرين هرب بعضهم على بعض هرب الكلاب وخرجوا الى ضروب العداوة . ثم انظر في محبته للرئاسة والتفريط فان من أحب الغلبة والترؤس وان يفرط لا ينفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحملة اخيلاء والنيه على الاستهانة باصدقائه وطلب الترفع عليهم ولا تتم مع ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان تؤول الحال بينهم الى العداوة والاحقاد والاضغان الكثيرة . ثم انظر هل هو ممن يستهزى بالفناء واللعون وضروب اللهو واللعب وسماع الجون والمضاحيك فان كان

كذلك فما أشغله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما أشد هربه عن مكافأة  
 باحسان واحتمال النصب ودخول تحت جميل . فان وجدته بريثا من هذه  
 الخلال فاتحفظ عليه ولترغب فيه ولتكتف بواحد ان وجد فان الكمال عزيز .  
 وأيضا فان من كثرت اصدقاؤه لم يف بمحقوقهم واضطر الى الاغضاء عن  
 بعض ما يجب عليه والتقصير في بعضه وربما ترادفت عليه احوال متضادة  
 اعنى أن تدعوه مساعدة صديق الى أن يسر بسروره ومساعدة آخر أن يغم  
 بغمه وأن يسمي بسعي واحد ويقعد بعود آخر مع احوال تشبه هذه كثيرة  
 مختلفة . ولا ينبغي أن يملك ما حضنتك عليه من طلب الفضائل ممن تصادقه  
 على تابع صغار عيوبه فتصير بذلك الى ان لا يسلم لك احد فتبقى خلوا من  
 الصديق . بل يجب ان تغض عن المعاييب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر  
 وتنظر ما تجده في نفسك من عيب فتحتمل مثله من غيرك . واحذر عداوة  
 من صادقته أو خالته أو خالطته مخالطة الصديق واسمع قول الشاعر :

عدوك من صديقك مستفاد      فلا تستكثرن من الصحاب  
 فان الداء اكثر ما تراه      يكون من الطعام والشراب

### — آداب الصداقة —

لذلك يجب عليك متى حصل لك صديق أن تكثر مراعاته وتبالغ في  
 تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له أو حادث يحدث به .  
 فاما في أوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه الطاق والخلق الرحب وان تظهر له  
 في عينك وحين كاتك وفي هباشتك وارتياحك عند مشاهدته اياك مايزداد

به في كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكوننا اليك ويرى السرور في جميع  
اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك . فان التحفي الشديد عند طلبة  
الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل . ثم ينبغي ان تفعل  
مثل ذلك بمن تعلم انه يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية وثني  
عليهم من غير اسراف يخرج بك الى الملق الذي يملكك عليه ويظهر له منك  
تكاف فيه . وانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصدق في كل ما تثنى به عليه . والزم  
هذه الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي حال من  
الاحوال . فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة التامة ويهديك محبة  
الغريباء ومن لا معرفة لك به . وكما ان الحمام اذا ألف بيوتنا وآنس لمجالسنا وطاف  
بها يجلب لنا اشكاله وامثاله فكذلك حال الانسان اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط  
الراغب فيما الآنس بنا . بل يزيد على الحيوان الغير الناطق بحسن الوصف  
وجميل الثناء ونشر المحاسن . واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت  
فيها وان كانت واجبة عليك حتى لا تستأثرها ولا تختص بشئ منها فان مشاركته  
في الضراء اوجب وموقعها عنده اعظم . وانظر عند ذلك ان اصابته نكبة  
او لحمة مصيبة او عثر به الدهر كيف تكون مواساتك له بنفسك وما لك  
وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك . ولا تنتظرن به ان يسألك تصریحاً او  
تعريضاً بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه في مضمض ما لحقه  
ليخف عنه . وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فانمست اخوانك فيها من  
غير امتنان ولا تطاول . وان رأيت من بعضهم نبواً عنك او نقصانا مما عهدته  
فداخله زيادة مداخلة واختلاط به واجتذبه اليك . فانك ان أنفت من ذلك

أو تداخلك شيء من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانتكثت قوته . ومع ذلك فلست تأمن ان يزولوا عنك فتستحي منهم وتضطر الى قطيعتهم حتى لا تنظر اليهم . ثم حافظ على هذه الشروط بالمدائمة عليها لتبقى المودة على حال واحدة . وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما يخصك أعني ان مر كوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تراعى مراعاة متصلة فسدت وانتقضت . فاذا كانت صورة حائطك وسطوحك كذلك ومتى غفلت أو توانيت لم تأمن تقوضه وتهدمه فكيف ترى أن تجفو من ترجوه لكل خير وتنتظر مشاركته في السراء والضراء ؟ ومع ذلك فان ضرر تلك يختص بك بمنفعة واحدة . وأما صديقك فوجوه الضرر التي تدخل عليك بجفائه وانتقاض مودته كثيرة عظيمة . ذلك انه ينقلب عدوا ويحول منافعه مضارا فلا تأمن غوائله وعدواته مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا ولا تستفيد عنه عوضا ولا يسد مسده شيء . واذا راعيت شروطه وحافظت عليها بالمدائمة أمنت جميع ذلك . ثم احذر المراء معه خاصة وان كان واجبا ان تحذره مع كل احد فان ممارسة الصديق تقتلع المودة من اصلها لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وقبحنا اثره واخترنا عليه الالفه التي طلبناها واثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشرعية القويمة . واني لأعرف من يؤثر المراء ويزعم انه يقدره ويشهد ذهنه ويشير شكوكه فهو يعتمد في المحافل التي تجمع رؤساء اهل النظر ومتعاطي العلوم ممارسة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ الجهال من العامة وسقاطهم ليزيد في خجل صديقه وليظهر

انقطاعه وتبليجه . وليس يفعل ذلك عند خلوته به ومذاكرته له وإنما يفعله حين يظن به انه اذق نظراً أو احضر حجة وانزرت علماً واحداً قريحة . فما كنت اشبهه الا باهل البني وجبارة أصحاب الاموال والمشبين بهم من اهل البدع فان هؤلاء يستحقرون بعضهم بعضاً ولا يزال يصنر بصاحبه ويزدري على مروءته ويتطلب عيوبه ويتبع عثراته ويبالغ كل واحد فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يودى بهم الحال الى العداوة التامة التي يكون معها السعاية وازالة النعم وتجاوز ذلك الى سفك الدم وانواع الشرور . فكيف يثبت مع المرء محبة ويرجى به ألفة ؟ ثم احذر في صديقك ان كنت متحققاً بعلم أو متحلياً بأدب ان يتجمل عليه بذلك الفن أو يرى فيك انك تحب الاستبداد دونه والاستئثار عليه فان اهل العلم لا يرى بعضهم في بعض ما يراه اهل الدنيا بينهم . ذلك ان متاع الدنيا قليل فاذا تراحم عليه قوم ثلم بعضهم حال بعض ونقص حظ كل واحد من حظ الآخر . وأما العلم فانه بالضد وليس أحد ينقص منه ما يأخذه غيره بل يزكو على النفقة ويربو مع الصداقة ويزيد على الانفاق وكثرة الخرج فاذا تجمل صاحب علم بعلمه فانما ذلك لاحوال فيه كلها قبيحة . وهي انه اما أن يكون قليل البضاعة منه فهو يخف ان يفنى ما عنده أو يرد عليه مالا يعرفه فيزول تشرفه عند الجهال . واما ان يكون مكتسباً به فهو يخشى أن يضيق مكسبه به وينقص حظه منه . واما أن يكون حسوداً والحسود بعيد من كل فضيلة لا يوده احد . واني لاعرف من لا يرضى بأن يتجمل بعلم نفسه حتى يتجمل بعلم غيره ويكثر عتبه وسخطه على من لا يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم . وكثيراً ما يتوصل الى أخذ الكتب من أصحابها ثم منعهم

منها. وهذا خلق لا يتقى معه مودة بل يجب الى صاحبه عدواة لا يحسبها ويقطع اطماع اصدقائه من صداقته . ثم احذر ان تنبسط بأصحابك ومن يخلو بك من اتباعك وتحمل أحداً منهم على ذكر شيء في نفسه . ولا ترخص في عيب شيء يتصل به فضلاً عن عيبه ولا يطمعن احد في ذلك من اولى انسابك والمتصلين بك لا جداراً ولا هزلاً وكيف تحتمل ذلك فيه وأنت عينه وقلبه وخليفته على الناس كلهم بل أنت هو فإنه ان بلغه شيء مما حذرتك منه لم يشك ان ذلك كان عن رأيك وهو اك فينقلب عدواً وينفر عنك نفور الضد . فان عرفت منه أنت عيباً فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة . فان الطبيب الرقيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والسكى بل ربما توصل بالغذاء الى الشفاء واكتفى به عن المعالجة بالدواء . ولست أحب أن تغضى عما تعرفه في صديقك وان تترك موافقته عليه بهذا الضرب من الموافقة . فان ذلك خيانة منك ومسامحة فيما يعود ضرره . عليه وليس من حق الصديق ان يعرف ويبذل بعيوب الاضداد حتى يعيبوه ويثابروه . ثم احذر النميمة وسامعها . وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخيار في صور ذالنصحاء فيوهونهم النصيحة وينقلون اليهم في عرض الاحاديث اللذيذة اخبار اصدقائهم محرفة مموهة حتى اذا تجاسروا عليهم بالحديث المختلق يصرحون لهم بما يفسد موداتهم ويشوه وجوه اصدقائهم الى أن يبنض بعضهم بعضاً . وللقدماء في هذه المعنى كتب مؤلفة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بمن يحك باظافيره أصول البنيان القوية حتى يؤثر فيها ثم لا يزال يزيد ويمعن حتى يدخل فيها المعول فيقلعه من اصله ويضربون له الامثال الكثيرة المشبهة بحديث الثور



مع الاسد في كتاب كليله ودمنه . ونحن تكتفي بهذا القدر من الايماء لكلا  
نخرج عن رسم كتابنا وعمما بنينا عليه مذهبنا من الایجاز في الشرح . ولست  
ترك مع الایجاز والاختصار تعظيم هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أن القدماء  
انما القوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايل ما رواه من  
النفع العظيم عند السامعين من الاخير ولما خافوه من الضرر الكثير على من  
يستبين به من الانعام . وليعلم المثل المضروب في السباع القوية اذا دخل  
عليها الثعلب الرواغ على ضمه اهلكها ودمرها . وفي الملوك الحصفاء يدخل  
بينهم أهل النيمة في صورة الناصحين حتى يفسدوا نيتهم على وزرائهم المبالغين  
في نصيحتهم المجتهدين في تثبيت ملكهم الى أن يفضبوا عليهم ويصرفوا به  
عيونهم عنهم ويصيروا من محبتهم وايتارهم على آباءهم واولادهم الى أن لا يملؤا  
عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلا وتغديبا وهم غير مذنبين ولا مجرمين  
ولا مستحقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار  
ما بلغوه من هؤلاء فبالاخرى ان يبلغوه منا اذا لم يجدوه في اصدقائنا الذين  
اخترناهم على الايام وادخرناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا وزدناهم تفضلا  
واكراما \* ويتبين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التي  
تم بها سعادة الانسان من حيث هو مدنى بالطبع انما اختلفت ودخل فيها  
ضروب الفساد وزال عنها معنى التآحد وعرض لها الانتشار حتى احتجنا  
الى حفظها والتعب الكثير بنظامها من أجل النقائص الكثيرة التي فينا وحاجتنا  
الى اتمامها مع الحوادث التي تعرض لنا من الكون والفساد . فان الفضائل  
الخلقية انما وضعت لاجل المعاملات والمعاشرات التي لا يتم الوجود الانساني

الابها . ذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور الذي هو رذيلة عند المتعاملين . وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الرديئة التي تمحى الخيانات العظيمة على النفس والبدن . وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من أجل الامور الهائلة التي يجب ان يقدم الانسان عليها في بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وصفناها وحضضنا على اقتنائها . وأيضاً فان جميع هذه الفضائل تحتاج الى اسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وجوهها ليتمكن أن يفعل بها فعل الاحرار والعدل يحتاج الى مثل ذلك ليجازي من عاشره بجميل ويكافئ من عامله باحسان وجميعها لا تقوم الا بالابدان والانفس وما هو خارج عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى . وكلما كانت الحاجات كثيرة احتيج الى المواد الخارجة عنها اكثر فهذه حالة السعادات الانسانية التي لا تتم لنا الا بالافعال والاحوال المدنية وبالاعوان الصالحين والاصدقاء المخلصين وهي كما تراها كثيرة والتعب بها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة الخاصة به . ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من أعظم الرذائل لانها يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضائل ويسلخان الانسان من الانسانية . ولذلك ذمنا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال والمنازات واختاروا التوحش الذي هو ضد التمدن لانهم ينساقون عن جميع الفضائل الخلقية التي عددناها كلها . وكيف يعف ويمدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية . وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت وأما محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلي واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة

بالجزء الالهى من الناس وليس يعرض لها شيء من الآفات التى تعرض  
للمحبات الاخرى الخلقية وضروب الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل النخبة ولا نوعا  
من أنواع الشرور لانها الخير المحض وسببها الخير الاول الذى لا تشوبه مادة  
ولا تلحقه الشرور التى فى المادة ومادام الانسان يستعمل الاخلاق والفضائل  
الانسانية فانها تعوقه عن هذا الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس  
يتم له الا بتلك ومن أصل تلك الفضائل بنفسه تم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية  
فقد اشتغل بذاته حقا ونجا من مجاهدات الطبيعة والآما ومن مجاهدات  
النفس وقواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل  
من وجوده الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الابدى والسرور  
السرمدى

— — —  
رأى أرسطوطاليس فى السعادة التامة — — —

وقد أطلق أرسطوطاليس جميع هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة  
الخالصة هى لله عز وجل ثم للملائكة والمتأهلين . ثم قال ولا ينبغي أن يضاف  
الى الملائكة تلك الفضائل التى عددناها فى سعادة الانسان فانهم لا يتعاملون  
ولا يكون عند احد منهم وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة  
فيحتاج الى العدالة ولا يفرغه شيء فيحتاج الى النجدة ولا له نفقات فيحتاج الى  
الذهب والفضة ولا له شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة  
ولا هو مركب من الاستقصات الاربعة التى تحل فى أضدادها فيحتاج الى الغذاء .  
فاذا هؤلاء الابرار المطهرون من بين خلق الله عز وجل غير محتاجين الى

الفضائل الانسية والله تعالى وتقدس وجل أعلى من ملائكته فيجب أن نزره  
عن جميع ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره باخير البسيط الذي يشبهه  
ونسب اليه الامور العقلية التي تليق به . فبالحق الواجب الذي لامرية فيه  
لا يحبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة واخير بالحقيقة فلذلك  
يتقرب اليه بهما جهده ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل أوامره بنحو  
استطاعته . ومن احب الله تعالى هذه المحبة وتقرب اليه هذا التقرب واطاعه  
هذه الطاعة احبه الله وقربه وارضاه وأستحق خلته التي أطلقها الشريعة على  
بعض البشر حيث قيل ابراهيم خليل الله واما ارسطوطاليس فانه أطلق بعد  
ذلك بالعلم شيئاً غير مطلق في لغتنا . وذلك أنه قال ( من احب الله وتعاهده  
كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم بعضاً احسن اليه ) . ولذلك يظن بالحكيم اللذات  
العجيبة وضروب الفرح الغريبة ويرى من تحقق بالحكمة أنها ملذة غاية  
الالتذاذ فلا ياتمت الي غيرها ولا يرجع على سواها . واذا كان الامر على ما  
وصفنا فالحكيم السعيد التام الحكمة هو الله تعالى فليس يحبه الا السعيد  
الحكيم بالحقيقة لان الشبيه إنما يسر بشبيهه فقط . ولذلك صارت هذه السعادة  
ارفع واعلي من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان  
لأنها مهذبة من الحياة الطبيعية مبرأة من القوى النفسانية مبينة لجميعها غاية  
المبينة وانما هي موهبة الهية يهبها البارى جلت عظمته لمن إصطفاه من عباده  
ثم التمسها منه وسعى لها سعيها ورغب فيها ولزمها مدة حياته واحتمل المشقة  
والتعب فان من لم يصبر على إدامة التعب اشتاق الالم

❦ الراحة البدنية ليست من أسباب السعادة ❦

ذلك أن اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من أسبابها وإنما يميل الى الراحة البدنية من كان طبيعي الشكل بهيمى النجار كالعبيد والصبيان والبهائم فليس ينسب الحيوان غير الناطق ولا الصبيان والعبيد الى السعادة ولا من كان مناسباً لهم . وأما العاقل الناضل فإنه يطلب بهيمته اعلى المراتب وأرسطو طالس يقول لا ينبغي أن تكون همم الانسان انسية وان كان إنساناً ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وإن كان هو أيضاً ميتاً بل يقصد بجميع قواه أن يحيا حياة الهية فان الانسان وإن كان صغير الجثة فهو عظيم بالحكمة شريف بالعقل . والعقل يفوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولى على الشكل بامر مبدعه تعالى جده ) وقد قلنا فيما تقدم إن الانسان مادام في هذا العالم فهو محتاج الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن ينبغي أن ينصرف إلى طلب ذلك بقوته كلها ولا يطالب الاستكثار منه . فقد يصل إلى الفضيلة من ليس بكثير المال ولا ظاهر اليسار فان الفقير من المال والاملاك قد يفعل الافعال الكريمة ولذلك قالت الحكماء . إن السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعالوا الافعال التي تفضيها الفضيلة وإن كانت فيهم قليلة : هذا كلام الحكماء في هذه المرتبة التي وعدناك الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك ليس في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها . ومن الناس من ينصاع الى الفضائل وينقاد الى الموعدة ويرغب في الخيرات وهو لاء قليلون وهم الذين يتمتعون من جميع الرذات والشرور . وذلك للفريزة الجيدة والطبع

الجيد الفائق . ومنهم من ينقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذات والشرور  
بالوعيد والفرع والاندازات من العذاب فيهرب من الجحيم والهاوية وما أعد  
فيها من الآلام . ولذلك حكمنا ان بعض الناس أخيار بالطبع وبعضهم أخيار  
بالشرع وبالتعلم . فالشريعة تجري لهؤلاء جرى الماء للانسان الذي به يسبح  
غصته . ومن لا ينقاد لها فهو كالشرق بالماء فلا يشرب الماء ولا يجده يسبح  
غصته وهو الهالك الذي لا حيلة فيه ولا طمع في اصلاحه وبرئه . ولهذا العلة  
قلنا . ان من كان بالطبع خيراً فاضلاً فذلك لمحبة الله اياه وليس أمره الينا ولا  
نحن كنا سببه بل الله عز وجل . ومثل هذا هو الذي يقول فيه ارسطو طاليس  
ان عناية الله به اكبر . فتحصل مما قدمناه ان اصناف السعداء من الناس أربعة  
وهم موجودون بالتصفح والحس . وذلك انا نجد من الناس من هو خير فاضل  
من مبدأ تكوينه نرى فيه النجابة طفلاً وتفرس فيه الفلاحة ناشئاً بان يكون  
حياً كريم الخيم يؤثر مجالسة الاخيار وموانسة الفضلاء وينفر من اضدادهم  
وليس يكون بذلك الا بعناية تلحقه من أول مولده كما قلناه . ونجد أيضاً من  
لا يكون بهذه الصفة من مبدأ تكوينه بل يكون كسائر الصبيان الا انه يسمى  
ويجتهد ويطلب الحق اذا رأى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ  
مرتبة الحكماء اعنى أن يصير علمه صحيحاً وعمله صواباً . وليس يبلغ هذه  
الدرجة الا بالتفلسف واطراح العصبيات وسائر ما حذرنا منه \* ونجد أيضاً  
من يوجد بهذه السيرة أخذاً على الاكراه . اما بالتأديب الشرعي . واما بالتعليم  
الحكمي . ومعلوم أن المطلوب هو القسم الثاني اذا كانت الاقسام الباقية هي  
من خارج ولا يمكن أن تطلب . اعنى ان من يتفق له في أصل مولده السعادة

ومن يكره عليها ليس من اقسام الطالب المجتهد وتبين ايضاً مقام الطالب المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات هو السعيد الكامل المقرب الى الله عز وجل المحب المطيع المستحق خلته ومحبته \*  
كما تقدم وصفه

### المقالة السادسة

( دواء النفوس )

نبتدىء بعون الله وتوفيقه وتأيدته في هذه المقالة بذكر شفاء الامراض التي تلحق نفس الانسان وعلاجها ونذكر الاسباب والعلل التي تولدها وتحدث منها فان حذاق الاطباء لا يقدمون على علاج مرض جسماني إلا بعد أن يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرومون مقابلته باضداده من العلاجات ويبتدئون من الحمية والادوية اللطيفة الى أن ينتهوا في بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع بالحديد والكي بالنار . ولما كانت النفس قوة الهية غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج خاص ومربوطة به رباطاً طبيعياً إلهياً لا يفارق أحدهما صاحبه إلا بمشيئة الخالق عز وجل وجب أن نعلم ان أحدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعياناً بما يظهر لنا من أفعالها . وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما ان كان سبب مرضه أحد الجزئين الشريفين أعنى الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة ويحس هو من نفسه بذلك . كذلك أيضاً

ترى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن وإما بالعشق وإما بالشهوات  
 الهائجة به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل  
 ويسمن ويلحقه ضروب التغير المشاهدة بالحس . فيجب لذلك أن نتفقد مبدأ  
 الامراض اذا كان من نفوسنا فان كان مبدؤها من ذاتها كالتفكير في الاشياء  
 الرديئة واجالة الرأي فيها وكاستشعار الخوف والخوف من الامور العارضة  
 والمتربة والشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما يخصها . وان كان مبدؤها من  
 المزاج ومن الحواس كالتحور الذي مبدؤه ضعف حرارة القلب مع الكسل  
 والرافية وكالعشق الذي مبدؤه النظر مع الفراغ والبطالة قصدنا أيضاً علاجه  
 بما يخص هذه . وأيضاً لما كان طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى الى قسمين  
 أحدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والآخر ردها اليها اذا كانت غائبة  
 وجب أن نقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها فتردها اذا كانت غائبة  
 وتقدم في حفظ صحتها اذا كانت حاضرة فنقول . اذا كانت خيرة فاضلة تحب  
 نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية والمعارف  
 الصحيحة فيجب على صاحبها أن يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله . ولا  
 يأنس بغيرهم ولا يجالس سوامهم . ويحذر كل الحذر من معاشرة أهل الشر  
 والمجون والمجاهرين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواخش المفتخرين بها  
 المنهمكين فيها ولا يصغى الى أخبارهم مستطيباً ولا يروى أشعارهم مستحسناتاً  
 ولا يحضر مجالسهم مبهتجاً . وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم  
 وسماع خبر واحد من أخبارهم يعلق من وضره ووسخه بالنفس ما لا يغسل  
 عنها إلا بالزمان الطويل والعلاج الصمد وربما كان سبباً لتفساد الفاضل المحنك



وغواية العالم المستبصر حتى يصير فتنه لها فضلاً عن الحدث الناشئ المسترشد.  
والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل  
التقائص التي فيه فنحن بالجيلة الاولى والفطرة السابقة الينا نميل اليها ونحرص  
عليها وانما نزم أنفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على  
المقدار الضروري منها . وانما استثنيت في أول هذا الكلام وشرطت بما  
شرطت لان معايشرة الاصدقاء الذين ذكرت أحوالهم في المقالة المتقدمة  
وحكمت بتمام السعادة معهم ولهم . لا تتم إلا بالمؤانسة والمداخلة

### ❦ اللذة التي تطيقها الشريعة ❦

ولا بد في ذلك من المزاج المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة  
المحجوبة واصابة اللذة التي تطيقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى  
الاسراف فيها ولا يقصر عنها تهاوناً بها . ذلك ان الخروج الى أحد الطرفين  
ان كان الى جانب الزيادة سمي مجوناً وفسقاً وخلاعة وما أشبهها من أسماء  
الذم . وان كان الى جانب النقصان سمي فدامة وعبوساً وشكاسة وما أشبهها  
من أسماء الذم أيضاً . والمتوسط بينهما هو الظريف الذي يوصف بالهشاشة  
والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط  
ما يعرض في سائر الفضائل الخلقية . ومما يؤخذ به من يحفظ صحة نفسه ان  
يلتزم وظيفة من الجزء النظري والعمل لا يسوغ له الاخلال بها البتة لتجرى  
النفس مجرى الرياضة التي تلزم في حفظ صحة البدن وأطباء النفوس أشد تعظيماً  
لها في حفظ صحة النفس . وذلك أن النفس متى تعطلت من النظر وعدمت

الفكر والنغوص على المعاني تبدلت وتبهرت وانقطعت عنها مادة كل خير. وإذا ألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلاكها لان في عطلتها هذه انسلاخاً من صورتها الخاصة بها ورجوعاً منها الى رتبة البهائم. وهذا هو الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه . وإذا تعود الحدث الناشئ من مبدء تكوينه الارتياض بالامور الفكرية ولازم التعاليم الاربعة ألف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونبأ طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب ما يستودع منها ولا يرد عليه أمر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب في فهم غوامضها واستخراج دقائقها فيصل الى سعادتها التي ذكرناها سريعاً . وان كان حافظ هذه الصحة قد توحد في العلم وبرع فلا يحملنه العجب بما عنده على ترك الازدياد فان العلم لا نهاية له وفوق كل ذي علم عليم . ولا يتكاسل عن معاودة ما علمه والدرس له فان النسيان آفة العلم ولتذكر قول الحسن البصري رحمة الله عليه ( اقدعوا هذه النفوس فانها طائفة وحادثوها فانها سريعة الدثور ) واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة المعاني وهي مع ذلك فصيحة واستوفت شروط البلاغة . وليعلم أيضاً حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعمة شريفة جليلة موهوبة لها وكنوزاً عظيمة مدخرة فيها وملابس فاخرة مفرغة عليها . وان من كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له في ذاته لا يحتاج الى تطليها من خارج ولا الى بذل الاموال فيها لغيره ولا يكاف العناء والمؤن الثقال في تحصيلها ثم أعرض عنها وأهمل أمرها حتى انسلخ عنها وعمرى منها ملوم في فعله مغبون في رأيه غير رشيد ولا موفق . لاسيما وهو

يرى طالب النعم الخارجة كيف يتجشمون الاسفار البعيدة الخطرة ويقطعون  
السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون لضروب المكاره وأنواع التلف من السباع  
العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يخيبون في اكثر الاحوال مع مقاسات  
هذه الاهوال . وربما عرضت لهم الندامات المفرطة والحسرات المعطبة التي  
تقطع أنفاسهم وتفصل أعضائهم فان ظفروا بشيء من مطالبهم كان لا محالة  
زائلا عن قرب أو معرضاً لازوال وغير مطموع في بقائه لانه من خارج وما  
كان خارجاً عنها فهو غير ممتنع عما يطرقه من الحوادث التي لا تحصى كثرة .  
وصاحبه مع هذه الحال شديد الوجل دائم الاشفاق متعب الجسم والنفس  
يحفظ ما لا يجد الى حفظه سيلا والحذر على ما لا يغنى فيه الحذر فتيلاً .  
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطاناً أو صاحب سلطان تضاعفت  
عليه هذه المكاره أضعافاً كثيرة بقدر ما يلبسه وبحسب ما يقاسيه من  
الاضداد والحساد على البعد ومن القرب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن في  
استصلاح من يليه ويلى من يليه من مداراة من يواليه ويعاديه . وهو في كل  
ذلك ملوم مستبطاً ومعتب مستقصر ويستزيده جميع أهله والمتصلين به ولا  
سبيل له الى ارضاء واحد منهم فضلاً عن جميعهم . ولا يزال يبلغه عن أخص  
الناس به من أولاده وحرمه ومن يجري مجراهم من حاشيته وخوله ما يملأه  
غيطاً وحنقاً وهو غير آمن على نفسه من جهتهم مع التحاسد الذي بينهم من  
مكاتبه الاعداء إياهم ومواطأة الحساد لهم . وكلما ازداد من الاعوان والاعضاد  
والانصار زادوه في شغل القلب وجلبوا اليه من المكاره ما لم يكن عنده فهو  
غنى عند الناس وهو أشد فقراً ومحسود وهو أكثرهم حسداً . وكيف

لا يكون فقيراً وحداً الفقر هو كثرة الحاجة فكثر الناس حاجة أشدهم فقراً  
كما ان أغنى الناس أقلهم حاجة . ولذلك حكمنا حكماً صادقاً بأن الله تعالى أغنى  
الأغنياء لانه لا حاجة له الى شيء من الاشياء

### ✽ الملوك ✽

وقد حكمنا أيضاً ان الملوك مناهم أشد الناس فقراً لكثرة حاجتهم الى  
الاشياء ولقد صدق أبو بكر الصديق في خطبته حيث قال ( اشقى الناس في  
الدنيا والآخرة الملوك ) ثم وصفهم فقال ( ان الملك اذا ملك زهده الله فيما في  
يده ورغبه فيما في يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو  
يحسد على القليل ويتسخط بالكثير ويسأم الرخاء وان انقطعت عنه اللذة لا يستعمل  
الغيرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم الغش والسراب الخادع جلد الظاهر  
حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحي ظله حاسبه فأشد حسابه  
واقل عفوه ألا ان الملوك هم المرحومون ) فهذه صفة الملك اذا تمكن من ملكه  
لا يغادر منه شيئاً ولقد سمعت أعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا  
الكلام ثم يستعبر لموافقته ما في قلبه وصدقه عن حاله وصورته . ولعل من يرى  
ظاهر الملوك من الاسرة والقرش والزينة والاثاث ويشاهدهم في مواكبهم  
محفوفين محشودين بين أيديهم الجنائب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب  
والحشم يروعه ذلك فيظن أنهم مسرورون بما يراه لهم . لا والذي خلقهم وكفانا  
شغلهم أنهم لفي هذه الاحوال ذاهلون عما يراه البعيد لهم مشغولون بالفكر  
التي تعتورهم وتعترهم فيما قلناه من ضرورتهم وقد جربنا ذلك في اليسير

مما ملكناه فدلنا على الكثير مما وصفناه . ولعل بعض من يصل الى الملك  
 أو السلطان فيلتذ في المبدء مدة يسيرة جداً بمقدار ما يتمكن منه وتفتح عينه  
 فيه . لكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشيء الطبيعي له لا يلتذ به ولا يفكر  
 فيه ويمد عينه الى مالا يملكه . فلو ملك الدنيا بجذافيرها لثمنى دنيا اخرى أو  
 نزلت همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى تبرم بجميع ما وصل اليه  
 وبلغته قدرته . ذلك ان حفظ الدنيا صعب جداً لما في طبيعتها من الاخلال  
 والتلاشي ولما يضطر الملك اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجملة  
 المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المتسومين والذخائر والسكنوز المعدة  
 للآفات والحوادث التي لا يؤمن طرقها . فهذه حال طلاب النعم الخارجة  
 عنا وأما تلك النعم التي هي في ذواتنا فانها موجودة عندنا وفينا وهي غير  
 مفارقة لنا لانها موهبة الخالق جل وعلا وقد أمرنا باستثمارها والترقي فيها فاذا  
 قبلنا امره أثمرت لنا نعماً بعد نعم ورقينا درجة بعد درجة حتى تؤدينا الى النعم  
 الابدية التي وصفناها فيما تقدم وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة  
 الابدية الصافية التي لا تحول . فمن اخسر صفقة واظهر سقطه ممن اضاع  
 جواهر نفيسة باقية عنده وموجودة له وطلب اعراضاً خسيصة فانية ليست  
 عنده ولا موجودة له . فان اتفق ان يجدها لم تبق له ولم تترك عليه وذلك انها  
 تنقل عنه أو ينقل عنها لا محالة

❦ القناعة ❦

لذلك قال الحكيم لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة  
 أن لا يشتغل بفضول العيش فانها بلا نهاية . ومن طلبها أوقعته في مهالك  
 لانهاية لها . وقد اعلمناك فيما تقدم ما الكفاية وما القصد وان الغرض الصحيح  
 بينهما هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع فيها لا التمتع وطلب اللذة .  
 وان من عاج الجوع والعطش اللذين هما مرضان مؤلمان حادان لا ينبغي له  
 أن يقصد لذة البدن بل صحته وسيلتذ لا محالة . فان من طلب بالعلاج اللذة  
 لا الصحة لم تحصل له الصحة ولم تبقى له اللذة . وأما من لم يرزق الكفاية واحتاج  
 الى السعى والاضطراب في تحصيلها فيجب أن لا يتجاوز القصد وقدر حاجته  
 منها الى ما يضطر معه الى السعي الحثيث والحرص الشديد والتعرض لقبيح  
 المكاسب أو ضروب المهالك والمعاطب . بل يجعل في طلبها اجمال العارف  
 بحساستها وانه يضطر اليها لتقصانه فيطلب منها كسائر الحيوانات في ضرورتها .  
 فان العاقل اذا تصفح أحوالها وجد منها ما يأكل الميتة ومنها ما يأكل الروث  
 وما في الحش وهي مسرورة بما تجده من أقواتها فريرة العين بها . وليست  
 تحس من نفوسها نفوراً ولا تنصرف نفوسها عنها كما تنصرف نفوس الحيوانات  
 المضادة لها بل انما تنصرف من أقوات تلك الأخر التي تضادها في النظافة .  
 مثال ذلك الجمل والخنافس اذا قيست الى النحل فاذا تلك تهرب من الروائح  
 الطيبة والاقوات النظيفة وهذا يطلبها ويسر بها . فان نسبة كل حيوان الى  
 قوته الخاص به كحل مقتنع بما يحفظ بقاءه وحياته فهو طالب مسرور به .

فينبغي أن ننظر الى أقواتنا بهذه العين ونزلها منزلة الحش الذي نضطر الى  
 ملابسته لاخراج ما كنا نحصر على الوصول اليه فلا نبعداها من هذا الآخر  
 لانهما ضرورتان لنا فنحن نلابسهما لاجل الضرورة ولا نشغل عقلنا باختيارها  
 والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التأنيق لهما والتوصل اليهما ولا نتكاسل ايضا عن  
 اعداد ضرورتنا منهما . وانما يفضل أحدهما على الآخر ويستحسن السعي في  
 طلب الدخل ولا يستحسن السعي في طلب الخرج لان الاول منهما هو غذاء  
 موافق لنا يخلف علينا ما نحلل من ابداننا ولا نستقدره كذلك لانفر مما نضعه  
 مكان ما ينقص منه وينوب عنه . واما الثاني منهما فهو عصارة ذلك الغذاء  
 وما نفقته الطبيعة واخذت حاجتها منه أعنى الذي أحالته دما صافيا وفرقته  
 في العروق على الاعضاء وأطرحت الثقل الذي لا حاجة بها اليه وهو في غاية  
 المخالفة والبعد من امرجتنا فنحن نستوحش منه وننفر عنه لاجل الضدية  
 والمخالفة الا اننا مضطرون الى اخرجه وتحيته ونفضه عنا بالآلات الموهوبة  
 المستعملة في ذلك ليفرغ مكانه لما يأتي بعده ويجرى مجراه . وينبغي لحافظ  
 الصحة على نفسه ان لا يحرك قوته الشهوانية وقوته الغضبية بتذكر ما أصاب  
 منهما موجد لذته بل يتركها حتى يتحركا بانفسهما وذلك ان الانسان ربما تذكر  
 لذاته في اصابة الشهوات وطيبها ومراتب كرامته من السلطان وغيرها فاشتاق  
 اليها واذا اشتاق اليها تحرك نحوها فقد جعلها غرضه فيضطر الى استعمال  
 الروية واستخدام النفس الناطقة فيها لتدبر له الوصول اليها . وهذه صورة  
 من يثير بهائم عادية ويهيج سباعا ضارية ثم ياتمس معالجتها والخلص منها .  
 وليس يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هي من أفعال المجانين الذين لا يميزون

بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطأ . ولذلك يجب ان لا يتذكر اعمال  
 هاتين القوتين لكلا يشتاقي اليهما ويتحرك نحوهما بل يتركهما فانهما سيثوران  
 لانفسهما ويهيجان عند حاجتهما ويلتمسان ما يحتاج اليه ويتخذان من باعث  
 الطبيعة ما يغنيك عن بعضهما بالفكر والروية والتميز فيكون حينئذ فكرك  
 وتميزك في ازاحة علمها وتقدير ما تطلقه لهما في الامر الضروري الواجب  
 لأبداننا الحافظ لصحتها . وهذا هو إمضاء مشيئة الله تعالى وإتمام سياسته لانه  
 تعالى انما وهب هاتين القوتين لنا لنستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا لنخدمهما  
 ونعبد لهما . فكل من استعمل النفس الناطقة في خدمة عبدها فقد تجاوز  
 أمر الله وتعدى حدوده وعكس سياسته وتقديره . وذلك ان خالقنا عز وجل  
 رتب لنا هذه القوى بتدبيره وتقديره ولا عدل أشرف وأفضل من ترتيبه  
 وتقديره وكل من خالفه وعدل عنه فهو أعظم جائر على ذاته واكبر ظالم لنفسه

حافظ الصحة على نفسه ❧

ينبغي لحافظ الصحة على نفسه أن يلفظ نظره في كل ما يعمل ويدبر  
 ويستعمل فيه آلات بدنه ونفسه لكلا يجري فيها على عادة تقدمت له مخالفة  
 لما يوجب تمييزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان من بدو أفعال تخالف  
 ما قدم فيه عزيمته وعتد عليه رأيه . فمن عرض له مثل هذا فيجب عليه أن  
 يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا أنكر من نفسه مبادرة  
 الى طعام ضار وترك حمية قد كان استشعرها أو تناول فاكهة غير موافقة أو  
 حلواء كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه الا على الطيف مما يقدر عليه واقله



وإن أمكنه الطي المليطو ويزيد في الحمية من غير حاجة اليها ويمكن في توبيخه  
لنفسه أن يقول لها أنك قصدت تناول النافع فتناوت الضار وهذا فعل من  
لا تعقل له ولعل كثيراً من البهائم أحسن حالا منك لأنه ليس فيها ما تقصد  
لذة لها ثم تتناول ما يؤلمها فاستمسكي الآن للعقوبة. وإن أنكر من نفسه مبادرة  
إلى غضب في غير موضعه أو على من لا يستحقه أو زيادة على ما يجب منه  
فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبذاء ثم ليحتمله وليتذلل لمن يعرفه بالخيرية  
ممن كان لا يتواضع له قبل ذلك أو ليفرض على نفسه مالا يخرج صدقة وليجعل  
ذلك نذراً عليه لا يخل به. وإن أنكر من نفسه كسلاً وتوايياً في مصلحة له  
فليعاقب نفسه بسمي فيه مشقة أو صلاة فيها طول أو بعض الاعمال الصالحة  
التي فيها كد وطمع وبالجملة فليرسم على نفسه رسوماً تصير عليها فرائض وحدوداً  
لا يخل بها ولا يترخص فيها إذا أنكر من نفسه مخالفة لعقله وتجاوزاً لمرسومه.  
وليحذر في جميع أوقاته ملابسة رذيلة أو مساعدة رفيق عليها أو مخالفة صواب  
ولا يستحقرن شيئاً مما يأتيه من صغار السيئات ولا يطالبن رخصة فيها فإن  
ذلك يدعو إلى أعظم منها. ومن تعود في أول نشوه وحدثان شبابه ضبط  
النفس عن شهواتها عند ثورة غضبه وحفظ لسانه واحتمال أقرانه خف عليه  
ما يثقل على غيره ممن لم يتأدب بهذه الآداب. ويبان ذلك أنا نجد العبيد  
وإشباههم إذا بلوا بموالي سوء يسفهن عليهم ويسبون أعراضهم هان عليهم  
الخطب فيما يسمونه حتى لا يؤثر فيهم وربما تضحكوا عند سماع مكروه شديد  
ضحكاً غير متكافئ ويملون عند ذلك أعمالهم ودعين طالقين غير قلقين وقد كانوا  
قبل ذلك شرسين غضوبين غير محتملين ولا ممسكين عن الاجوبة والانتقام

بالكلام وطلب التشقي بالخصام . وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضائل وتجنبنا الرذائل  
 وأمسكنا عن مقابلة السفهاء ومجاراتهم والانتقام منهم . ويجب على حافظ الصحة  
 على نفسه ان يتشبه بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة  
 والعتاد والتحصن قبل هجوم العدو وهم في مهلة من زمانهم وفي اتساع  
 من نظرهم ولو اغفلوا ذلك الى ان تحمل بهم المكاره وتطرقتهم الشدائد لاذلهم  
 الامر عن الحيلة وعن الرأي السديد . فعلى هذا الاصل يجب ان تبني  
 أمورنا في الاستعداد لاعدائنا من الشره والفضب وسائر ما يزيلنا عن  
 أغراضنا من الفضائل بأن نتعود الصبر على ما يجب الصبر عليه والحلم عن يذنبني  
 أن يحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الرديئة ولا نتظردفع هذه الرذائل  
 وقت هيجانها فان الامر عند ذلك صعب جداً ولعله غير ممكن ألبتة

— ❦ —  
 ❦ معرفة المرء عيوب نفسه ❦

ويجب على حافظ الصحة على نفسه أن يطالب عيوب نفسه باستقصاء  
 شديد ولا يقنع بما قاله جالينوس في ذلك فانه ذكر في كتابه المعروف بتعرف  
 المرء عيوب نفسه « انه لما كان كل انسان يحب نفسه خفيت عليه معايبه ولم  
 يرها وان كانت ظاهرة » وأشار في كتابه هذا بأن يختار من يجب أن يبرأ  
 من العيوب صديقاً كاملاً فاضلاً فيخبره بمد طول المؤانسة انه انما يعرف  
 صدق مودته إذا أصدقته عن عيوبه حتى يتجنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا  
 يرضى منه اذا قال له لا أعرف لك عيباً بل ينكر عليه ويعلمه أنه قد أتهمه  
 بالخيانة ويعاود مسئلته والالحاح عليه . فاذا لم يخبره بشيء من عيوبه زاد في

العتب الصريح والالاح قليلا فاذا أخبره ببعض ما يعثر عليه منه فلا يظهر له في وجهه أو كلامه نكرة ولا انقباضاً بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما أخرجه اليه ونبهه عليه ويشكره على الايام وفي أوقات المؤانسة ليتطرق له الى اهداء مثله اليه ثم يعالج ذلك العيب بما يزيل أثره ويمحو ظله ليعلم ذلك المهدي اليك عيبك انك من وراء نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا ينقض عن معاودتك ونصيحتك . وهذا الذي أشار به جالينوس معوز غير موجود ولا مطموع فيه . ولعل العدو في هذا الموضوع أنفع من الصديق فان العدو لا يحتشمنا في اظهار عيوبنا بل يتجاوز ما يعرف منا الى التحرض والكذب فيها . فلنتنبه على كثير من عيوبنا من جهتها بل تتجاوز الى ذلك أن نتهم نفوسنا بما ليس فيها . وجالينوس أيضاً مقالة يقول فيها ان خيار الناس ينتفعون بأعدائهم وهذا صحيح لا يخالفه فيه أحد وذلك لما ذكرناه . فأما ما اختاره أبو يوسف بن اسحاق الكندي في ذلك فهو ما حكاه بألقاضه وهو هذا قال : ( ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآة له تريه صور كل واحد منهم عند ما تعرض له آلام الشهوات التي تثر السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له . وذلك انه يكون متفقداً سيئات الناس فتى رأى سيئة بادية من أحد ذم نفسه عليها كأنه هو فعلها واكثر عتبه على نفسه من أجلها ويعرض عليها كل يوم وليلة جميع أفعاله حتى لا يشذ عنه شيء منها فانه قبيح بنا أن نجتهد في حفظ ما نقضناه من الحجارة الدنيئة والارمد الهامدة الغريبة منا التي لا ينقصنا عدمها ألبتة في كل يوم ولا نحفظ ما ينفق من ذواتنا التي بتوفيرها بقاؤنا وبتقصانها فناؤنا . فاذا وقفنا على سيئة من أفعالنا اشتد

عدلنا لانفسنا عليها ثم لنقيم عليها حداً نفرضه ولا نضيعه. واذا تصفحنا أفعال  
غيرنا ووجدنا فيها سيئة تأتينا أيضاً نفوسنا عليها فان نفوسنا ترتدع حينئذ عن  
المساوى وتألف الحسنات وتكون المساوى أبداً ببالنا لا ننساها ولا يأتي عليها  
زمان طويل فيعنى ذكرها . ولذلك ينبغي أن نعمل في الحسنات لنفرغ اليها ولا  
يفوتنا منها شيء . قال : وينبغي أن لا نقطع بأن نصير أشباه الدفاتر والكتب  
التي تفيد غيرها معاني الحكمة وهي عادة اقتنائها أو كالمسن يشهد ولا يقطع  
بل نكون كالشمس التي تفيد القمر كلما أشرقت عليه انارة من ذاتها فنعمل له  
تماماً حتى يكون له شبهها وان قصر عن نورها . فهكذا ينبغي أن يكون حالنا  
اذا أفدنا غيرنا (الفضائل) وهذا الذي ذكره الكندي في ذلك أبلغ مما قاله  
من تقدمه

المقالة السابعة

( رد الصحة على النفس )

رد الصحة على النفس اذا لم تكن حاضرة وهو القول في علاج أمراضها  
وبتدبيره بمعونة الله تعالى بذكر أجناس هذه الامراض الغالبة ثم بمداواة  
الاعظم فالاعظم منها نكايه والاكثر فالأكثر جنابة فنقول : أما أجناسها الغالبة  
فهي مقابلات الفضائل الاربعة التي احصيناها في مبدأ الكتاب . ولما كانت  
الفضائل أوساطاً محمودة وأعياناً موجودة امكن ان تطلب وتصد وتنتهي اليها  
الحركة والسعي والاجتهاد . وأما سائر النقط التي ليست بأوساط فانها غير  
محمودة ولا اعيانها موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات . ومثال ذلك ان

الدائرة لها مركز واحد ولها نقطة واحدة ولها وجود في ذاتها يقصد ويشار إليها فان لم نجد لها حساً أو لم يمكننا الاشارة اليها امكنا أن نستخرجها ونقيم البرهان على انها هي المركز دون غيرها من النقط . وأما النقط التي ليست بمركز فانها لا نهاية لها ولا وجود لها بالذات وانما توجد اذا فرضت فرضاً وليست لها عين قائمة فلذلك لا تقصد ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شائمة في جميع الدائرة . وأما الطرفان اللذان يسميان متضادين فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعيد بينهما غاية البعد . مثال ذلك انا اذا اخرجنا من مركز الدائرة خطاً مستقيماً الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما المركز والآخر نهايته عند المحيط والبعيد بينهما غاية البعد . ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما يصاد الآخر وهما محدودان موجودان والبعيد بين الضدين غاية البعد فاما التي بينهما فهي بلا نهاية وكذلك الالوان هي بلا نهاية . وأما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد لم تسم ضداً لان لكل ضد ضداً واحداً ولا يمكن ان توجد اضداد كثيرة ل ضد واحد . والسبب في ذلك ان البعد بينهما غاية البعد وقد نجد للفضيلة الواحدة اكثر من واحد . وذلك اذا تصورنا الفضيلة مركزاً واخرجنا منه خطاً مستقيماً فخلصت له نهاية امكنا أن نخرج من الجانب الآخر المقابل له خطاً آخر على استقامته فتصير له نهاية اخرى ويصيران جميعاً مقابلين للمركز الذي فرضناه فضيلة الا ان احدهما يجري مجرى الافراط والغلو والآخر يجري مجرى التفريط والتقتير . واذ قد فهم ذلك فليعلم أن اكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما واوساط بينهما كثيرة لانهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها . الا أن الوسط الحقيقي هو

واحد وهو الذي سميناه فضيلة . ثم ليعلم اننا بحسب هذا البيان نجعل اجناس الشرور والرزائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التي تقدم شرحها وهي هذه : التهور والجبن طرفان للوسط الذي هو الشجاعة . والشره والخمود طرفان للوسط الذي هو العفة . والسفه والبله طرفان للوسط الذي هو الحكمة . والجور والمهانة ( اعني الظلم والانظلام ) طرفان للوسط الذي هو العدالة . فهذه اجناس الامراض التي تقابل الفضائل التي هي صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لانهاية لها ونبدأ بذكر التهور والجبن اللذين هما طرفا الشجاعة وهي فضيلة النفس وصحتها فنقول :

### التهور والجبن

ان سببهما ومبدأهما النفس الغضبية ولذلك صارت الثلاثة باسرها من علائق الغضب . والغضب في الحقيقة هو حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام . فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلات الشرايين والدماع دخانا مظلماً مضطرباً يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكته الحكماء مثل كهف ملى حريقاً وأضرم ناراً فاختنق فيه الهيب والدخان وعلا التأجيج والصوت المسمى وحي النار فيصعب علاجه ويتعذر اطفأؤه ويصير كل ما يدينه للاطفاء سبباً لزيادته ومادة لقوته . فلذلك يعمى الانسان عن الرشد ويصم عن الموعدة بل تصير المواعظ في تلك الحال سبباً لزيادة في الغضب ومادة للهب والتأجيج وليس له في تلك الحال حيلة . وانما

يتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج فان كان المزاج حاراً يابساً كان قريب  
الحال من حال الكبريت الذي اذا أدنيت منه الشرارة الضعيفة التهب. وان  
كان بالضد فخاله بالضد وهذا في مبدأ امره وعنفوان حركة الغضب به. فاما  
اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه وتصور ذلك من الحطب اليابس والرطب  
ومبدأ اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنقط. ثم انحدر منهما الى  
الادهان المتوسطة الى ان تنتهي الى الاحتكاك فان الاحتكاك وان كان ضعيفاً  
في توليد النار فربما قوى حتى تلهب منه الاجمة العظيمة. وكفاك مثل السحاب  
الذي هو من البخارين كيف يحتك حتى تنقذح بينهما النيران وينزل منهما  
الصواعق التي لا يثبت أثرها شيء من المواد ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصير  
رمياً وان كان جبلا اطلسا وحجراً أصم. واما بقراطس فانه قال اني للسفينة  
اذا عصفت الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذفت بها الى اللجج التي كالجبال  
أرجى منى للغضبان الملهب. وذلك ان السفينة في تلك الحال يلطف لها  
الملاحون ويخلصونها بضروب الحيل واما النفس اذا استشاطت غضباً فليس  
يرجى لها حيلة ألبتة. وذلك ان كل ما رجى به الغضب من التضرع والمواظ  
والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب يوهجه ويزيده اشتعالاً. اما اسبابه  
المولدة له فهي العجب. والافتخار. والمرء. واللجاج. والمزاج. والتهيه.  
والاستهزاء. والغدر. والضميم. وطلب الامور التي فيها لذة ويتنافس فيها  
الناس ويتحاسدون عليها. وشهوة الانتقام غاية لجمعها لانها باجمعها تنتهي اليه  
ومن لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلاً وآنحلاً وتغير المزاج وتعجل  
الألم. وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما ادى الى التلف باختناق حرارة

القلب فيه وربما كان سبباً لامراض صعبة مؤدية الى التلف . ثم من لواحقه  
مقت الاصدقاء وشماتة الاعداء واستهزاء الحساد والاراذل من الناس . وكل  
واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقلع من اصله . فاما اذا تقدمنا  
لحسم هذه الاسباب واماطتها فقد أوهنا قوة الغضب وقطعنا مادتها وأما  
غائتها . فان عرض لنا منها عارض كان بحيث نطيع العقل ونلتزم شرائطه  
وحدثت فضيلته اعنى الشجاعة فيكون حينئذ اقدامنا على ما نقدم عليه كما  
يجب وبحيث يجب وبالقدر الذي يجب وعلى من يجب

### ✽ العجب والافتخار ✽

اما العجب فحقيقته اذا حددناه انه ظن كاذب بالنفس في استحقاق  
مرتبة هي غير مستحقة لها . وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب  
والنقائص التي تعتورها فان الفضل مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد  
منهم الا بفضائل غيره . وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا  
يعجب بنفسه . وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة  
عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه . وكيف يملك ما هو  
معرض للآفات والزوال في كل ساعة وفي كل لحظة ولسنا على ثقة منه في شيء  
من الاوقات واصح الامثال واصدقها فيه ما قاله الله عز وجل : ( واضرب لهم  
مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب ) الى قوله : ( فأصبح يقلب  
كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ) وقال تعالى : ( واضرب لهم  
مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما



تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا) وفي القرآن من هذه الامثال  
شيء كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام . واما  
المفتخر بنسبه فاكثر ما يدعيه اذا كان صادقاً ان اباه كان فاضلاً فلو حضر ذلك  
الفاضل وقال ان الفضل الذي تدعيه لي انا مستبد به دونك فما الذي عندك  
منه مما ليس عند غيرك لأخفه وأسكته . وقد روى عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في هذا المعنى اخبار كثيرة صحيحة منها أنه قال : ( لا تأتوني بانسابكم  
وائتوني بأعمالكم ) أو ما هذا معناه . ويحكى عن مملوك كان لبعض الفلاسفة انه  
افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت على بفرسك فالحسن  
والفراهة للفرس لا لك . وان افتخرت بثيابك وآلاتك فالحسن لها دونك .  
وان افتخرت بأبائك فالفضل كان فيهم دونك . فاذا كانت الفضائل والحاسن  
خارجة عنك وانت منسلخ عنها وقد رددناها على اصحابها بل لم تخرج عنهم  
فترد عليهم وانت ممن يحقق ذلك ان شاء الله تعالى . وحي عن بعض الفلاسفة  
انه دخل على بعض أهل اليسار والثروة وكان يحتشد في الزينة ويفتخر بكثرة  
آلاته وقد حضرت الفيلسوف بضعة فتنزع لها والتفت في البيت يمينا وشمالا  
ثم بصق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال : ( اني نظرت الى  
البيت وجميع ما فيه فلم اجد هناك اقبح منه فبصقت عليه ) وهكذا يستحق  
من كان خالياً من فصائل نفسه وافتخر باخارجات عنه . فاما المرء واللجاج  
فقد ذكرنا قبح صورتها في المقالة التي قبل هذه وما يولدانه من الشتات  
والفرقة والتباغض بين الاخوان .

﴿ المزاح والتهيه والاستهزاء ﴾

وأما المزاح فان المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه يمزح ولا يقول إلا حقاً . وكان اميراً المؤمنين كثير المزاح حتى عابه بعض الناس فقال لولا دعاية فيه . ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب واكثر الناس يبتدئ ولا يدري أين يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سبباً للوحشة فيثير غضباً كامناً ويزرع حقداً باقياً فلذلك عددناه في الاسباب فينبغي ان يحذره من لا يعرف حده ويذكر قول القائل :

( رب جد جره اللب \* وبعض الحرب اوله مزاح )

ثم يهيج فتنة لا يهتدى لعلاجها . وأما التهيه فهو قريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب يكذب نفسه فيما يظن لها والتهيه يتبه على غيره ولا يكذب نفسه إلا ان علاجه علاج المعجب بنفسه . وذلك بأن يعرف ان ما يتبه به لا مقدار له عند العقلاء وانهم لا يعتدون به لخساسة قدره ونزارة حظه من السعادة ولان متغير زائل غير موثوق ببقائه ولان المال والاثاث وسائر الاعراض قد توجد عند كل صنف من الناس الاراذل والاشراف والجهال . فأما الحكمة فليست توجد إلا عند الحكماء خاصة . وأما الاستهزاء فانه يستعمله المجان من الناس والمساخر ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احتمال مثل ذلك واضعافه فهو ضاحك قرير العين بضروب الاستخفافات التي تاحتمه وانما يتعیش بالدخول تحت المذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يبتدئ به لكثير ما يعامل به ليضحك غيره وينال اليسير من بره . والحر الفاضل بعيد

من هذا المقام جداً لأنه يكرم نفسه وعرضه عن تعريضهما لاسفها وبيعها  
بجميع خزائن الملوك فضلاً عن الحقير التافه \*

— ❦ —  
❦ الغدر والضيم ❦

وأما الغدر فوجوه كثيرة اعنى انه يستعمل في المال وفي الجاه وفي  
الحرم وفي المودة وهو على كثرة وجوهه مذموم بكل لسان ومعيب عند كل  
احد ينفر السماع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظه من الانسانية  
وليس يوجد إلا في جنس من اجناس العبيد فيتوقاهم الناس ويأنف منهم  
سائر اجناس العبيد . ذلك ان الوفاء الذى هو ضده موجود في جنس الحبشة  
والروم والنوبة . وقد شاهدنا من حسن وفاء كثير من العبيد ما لم نشاهده  
في كثير من المتسمين بالاحرار . ومن عرف قبح الغدر باسمه ونفور العقلاء  
منه ثم عرف معناه فليس يستعمله وبالاخص من له طبيعة جيدة او قرأ ما تقدم  
في هذا الكتاب وتخلق به وانتهى في قراءته الى هذا الموضوع . وأما الضيم فهو  
تكليف احتمال الظلم والغضب وربما يعرض منه شهوة الانتقام وقد ذكرنا فيما  
تقدم الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما . فينبغي ان لا نسرع الى الانتقام  
عند ضيم يلحقنا حتى ننظر فيه ونحذر ان لا يعود علينا الانتقام بضرر اعظم  
من احتمال ذلك الضيم . وهذا النظر والحذر هو استشارة العقل وهو الحلم بعينه



﴿ المقتنيات والجواهر النفيسة ﴾

واما طلب الامور التي فيها عزرة وتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك  
والعظماء فضلاً عن اوساط الناس . وذلك ان الملك اذا حصل في خزائنه علق  
كريم او جوهراً نفيساً فهو متعرض به للجزع عند فقده ولا بد من حلول  
الآفات به لما عليه طبيعة عالم الكون والفساد من تغيير الامور واحالتها وادخال  
الفساد على كل ما يدخر ويقتنى . فاذا فقد الملك ذخيرة عزيزة الوجود ظهر  
عليه ما يظهر على المفجوع المصاب بما يعز عليه وتبين فقره الى نظيره الذي  
لا يجده فيطلع الصديق والمدعو على حزنه وكآبته . وحكى عن بعض الملوك  
انه اهدى اليه قبة بلور صافية عجيبة النقاء والصفاء محكمة الخروط قد استخرج  
منها أساطين وصور خاطر بها صانعها مرة بعد مرة في تلخيص النقوش  
والخروق والتجاويف التي بين الصور والاوراق فلما حصلت بين يديه كثر  
عجبه منها واعمجابه بها وأمر فرفعت في خاص خزائنه فلم يأت عليها كثير زمان  
حتى أصابها ما يصيب أمثالها من المتالف وبلغ الملك ذلك فظهر عليه من  
الاسف والجزع ما منعه من التصرف في أموره والنظر في مهماته والجلوس  
بلجده وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه بهافتعذر عليهم فظهر أيضاً  
من عجزه وامتناع مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحزنه . وأما اوساط الناس  
فانهم متى ادخروا آلة كريمة او جوهراً نفيساً أو اتخذوا مراكوباً فارهاً أو  
ما أشبه هذه الاشياء التمسها منه من لا يمكنه رده عنها فان حجزه عنها وبخل  
عليه بها فقد عرض نفسه ونعمته للبوار . وان سمح بها لحقه من النعم والجزع

ما كان مستغنياً عنه . وأما الاحجار المتنافس فيها من اليوافيت وأشباهها مما  
تبعدها الآفات في أنفسها فليس تبعدها الآفات الخارجة عنها من السرقة  
ووجوه الحيل فيها وإذا أدرها الملك قل انتفاعه بها عند حاجته اليها وربما عدم  
الانتفاع بها دفعة . ذلك انه إذا اضطر اليها لم تنفعه في عاجل أمره وحاضر  
ضرورة الملك . وقد شاهدنا أعظم الملوك خطراً في عصرنا لما احتاج اليها بعد  
فناء اموال ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد ثمنها ولا قريباً من ثمنها عند احد  
ولم يحصل منها إلا على الفضيحة في حاجته الى رعيته في بعض قيمتها وهو  
لا يقدر على قليل ولا كثير من اثمانها وهي مبدولة مبتدلة في ايدي الدالين  
والتجار والسوقة يتعجبون منها ولا يقدرون عليها . ومن قدر منهم على ثمن  
شيء منها لم يتجاسر عليها خوفاً من تتبعه بمد ذلك وظهور أمره وانتزاعها منه .  
فهذه حال هذه الذخائر عند الملوك . أما التجار الموسومون بهذه الصناعة فربما  
اتفق لهم زمان صلاح وسكون من الرؤساء وامن في السرب وحينئذ تكون  
بضاعتهم شبيهة بالكاسدة لانها لا تنفق إلا على الملوك الودعين الذين لا يحزنهم  
شيء من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض وفضلت اموالهم عن الخزائن  
والقلاع حينئذ يغترون بالزمان فيقعون في مثل هذا الخداع ثم تؤول عاقبتهم  
الى ما حذرنا منه

### اسباب الغضب

فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة منها ومن عرف العدالة  
وتخلق بها كما قدمناه فيما تقدم سهل عليه علاج هذا المرض لانه جور وخرج

عن الاعتدال . ولذلك لا ينبغي أن نسميه باسماء المديح . واعنى بذلك ان قوما  
يسمون هذا النوع من الجور أعنى الغضب في غير موضعه رجولية وشدة  
شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة التي هي بالحقيقة اسم للمدح وشتان ما  
بين المذهبين . فان صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أفعال رديئة  
كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه  
حتى ينتهي الى عبيده والى حرمه فيكون عليهم سوط عذاب ولا يقبلهم عثرة  
ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا برآء من الذنوب غير مجترمين ولا مكاتبين سواء  
بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقاً اليهم حتى يبسط لسانه  
ويده وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له  
ويقرون بذنوب لم يترفوها استكفافاً لشره وتسكيناً لغضبه وهو مع ذلك  
مستدر على طريقته لا يكف يداً ولا لساناً وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس  
الى البهائم التي لاتعقل والى الاواني التي لاتحس . فان صاحب هذا الخلق  
الردىء ربما قام الى الحمار والبرذون او الى الحمار والعصفور فيتناولها بالضرر  
والمكروه وربما عض القفل اذا تسر عليه وكسر الآنية التي لايجد فيها طاعة  
لامره . وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال يستعملونه  
في الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات . اما الملوك من هذه الطائفة فانهم  
يغضبون على الهواء اذا هب مخالفا لهوامم وعلى القلم اذا لم يجز على رضاهم فيسبون  
ذاك ويكسرون هذا . وكان بعض من تقدم عهده من الملوك يغضب على  
البحر اذا تأخرت سفينة فيه لاضطرابه وحركة الامواج حتى يهدده بطرح  
الجبال فيه وطمه بها . وكان بعض السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويسبه

ويهجو به بشعر له مشهور . وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه . وهذه الافعال  
 كلها قبيحة وبعضها مع قبحة مضحك يهزأ بصاحبه . فكيف يمدح بالرجولية  
 والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمدمة والفضيحة أولى منها بالمدح ؟  
 وای حظ لها في العزة والشدة ونحن نجدها في النساء أكثر منها في الرجال  
 وفي المرضى أقوى منها في الاصحاء ونجد الصبيان اسرع غضباً وضجراً من الرجال .  
 والشيوخ اكثر من الشبان ونجد رذيلة الغضب مع رذيلة الشره . فان الشره  
 اذا تعذر عليه ما يشتهي غضب وضجر على من يهيء طعامه وشرابه من نسائه  
 واولاده وخدمه وسائر من يلبس أمره . والبخيل اذا فقد شيئاً من ماله  
 تسرع بالغضب على اصدقائه ومخالطيه وتوجهت تهمة الى أهل الثقة من خدمه  
 ومواليه . وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من اخلاقهم الا على فقد الصديق وعدم  
 النصيح وعلى الذم السريع واللوم الوجيع . وهذه حال لا تتم معها غبطة  
 ولا سرور وصاحبها ابدأ محزون كئيب متنفس بعيشه متبرم بأموره وهي  
 حال الشقي المحروم . أما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحامه غضبه  
 ويتمكن من التمييز والنظر فيما يدهم ولا يستفزه ما يرد عليه من المحركات لغضبه  
 حتى يتروى وينظر كيف ينتقم ممن وعلى أى قدر . وكيف يصفح ويغضي  
 عمن وفي اى ذنب : حكي عن الاسكندر انه نفي اليه عن بعض اصحابه انه  
 يعيبه وينتقصه فقال له بعض اصحابه لو أدبته ايها الملك بعقوبة تنهك بها . فقال  
 له وكيف يكون انها كه بعد عقوبتي اياه في ثلبي وطلب معايي لانه حينئذ  
 بسط لسانا واعذر عند الناس . واتي يوماً بعض أعدائه من المتغلبين الخارجين  
 عليه وكان قد عاث في أطراف بلاده عيثاً كثيراً فصفح عنه . فقال له بعض جلسائه

لو كنت أنا انت لقتاته. فقال له الاسكندر ولكن لم اكن أنا انت فلست بقاتله.  
 فقد ذكرنا معظم أسباب الغضب ودلنا على معالجاتها وجسمها وهو النوع الأعظم  
 من أمراض النفس واذا تقدم الانسان في حسم سببه لم يخش تمكنه منه وكان  
 ما يعرض له سهل العلاج قريب الزوال لا ماددله تلبيه وتمده ولا سبب يسعره  
 ويوقده . وتجد الروية موضعاً لاجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم واستعمال  
 المكافأة ان كان صواباً أو التفاضل ان كان حزمياً. والذي يتلو معالجة هذا النوع  
 من أمراض النفس معالجة الجبن الذي هو الطرف الآخر من صحتها . ولما  
 كانت الاضداد يعرف بعضها من بعض وقد عرفنا الطرف الذي حددناه  
 بحركة للنفس عنيفة قوية يحدث منها غليان دم القلب شهوة للانتقام فقد عرفنا  
 اذاً مقابله اعنى الطرف الآخر الذي هو سكون للنفس عند ما يجب أن تتحرك  
 فيه وبظلال شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور

### الجبن والخور

وتبعهما اهانة النفس وسوء العيش وطمع طبقات الاندال وغيرهم من  
 الاهل والاولاد والمعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها  
 الثبات وهما أيضاً سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن  
 لواحقهما الاستحذاء لكل أحد والرضى بكل رذيلة وضميم. والدخول تحت كل  
 فضيحة في النفس والاهل والمال وسماع كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف  
 واحتمال كل ظلم من كل معامل وقلة الانفة مما يأنف منه الناس . وعلاج هذه  
 الاسباب واللواحق يكون باضدادها. وذلك بأن توظف النفس التي تمرض هذا



المرض بالهز والتحرك. فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية رأساً حتى تجلب  
اليه من مكان آخر ولكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة  
التي فيها بقية لقبول الترويح والنفخ فهي تتحرك لا محالة اذا حركت بما يلائمها  
وتبعث ما في طبيعتها من التوقد والتأهب . وقد حكي عن بعض المتفلسفين  
انه كان يعتمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل نفسه على المخاطر العظيمة  
بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه وهيجانه ليعود نفسه الثبات في  
الخوف ويحرك منها القوة التي تسكن عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن  
رذيلة الكسل ولو احقه ولا يكره لمثل صاحب هذا المرض بعض المرء والتعرض  
للملاحاة وخصومة من يأمن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط  
بين الرذيلتين أعنى الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة فاذا وجدها وأحسن  
بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوزها حذراً من الوقوع في الجانب الآخر  
الذي علمناك علاجه

### الخوف وأسبابه وعلاجه

ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من أمراض النفس وكان متصلاً  
بهذه القوة وجب أن نذكره ونذكر أسبابه وعلاجه فنقول : ان الخوف  
يعرض من توقع مكروه وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان  
للحوادث في الزمان المستقبل. وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت  
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة . والامور الممكنة ربما كنا نحن  
أسبابها وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الاقسام لا ينبغي للعاقل أن يخاف

منها . أما الامور الممكنة فهي بالجملة مترددة بين ان تكون وبين ان لا تكون ولا يجب أن يصمم على انها تكون فيستشعر الحوف منها ويتعجل مكروه التألم بها وهي لم تقع بعد ولعلها لا تقع وقد احسن الشاعر في قوله  
وقل للفؤاد ان ترى بك نزوة من الروع أفرج أكثر الروع باطله  
فهذه حال ما كان منها عن سبب خارج وقد أعلمناك أنها ليست من الواجبات التي لا بد من وقوعها . وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب أن يكون على قدر حدوثه . وانما يحسن العيش وتطيب الحياة بالظن الجميل والامل القوي وترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكارده وأما ما كان سببه سوء اختيارنا وجنابتنا على أنفسنا فينبغي أن نحترز منه بترك الذنوب والجنائيات التي نخاف عواقبها ولا نقدم على أمر لا تؤمن غائلته فان هذا فعل من نسي ان الممكن هو الذي يجوز أن يكون ويجوز ان لا يكون . وذلك أنه اذا أتى ذنباً أوجنى جنابة قدر في نفسه انه يخفى ولا يظهر أولاً يخفى فيظهر الا انه يتجاوز عنه أولاً تكون له غائلة . وكأنه يجعل طبيعة الممكن واجباً كما ان صاحب القسم الاول يجعل أيضاً الممكن واجباً الا ان هذا يأمن الجانب المحذور خاصة واعنى بهذا أن الممكن لما كان متوسطاً بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشيء الذي له جهتان احدهما تلي الواجب والاخرى تلي الممتنع . ومثال ذلك خط اج ب فنقطة ا هي الجانب الواجب . ونقطة ب هي الجانب الممتنع . وموضع ج هو الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد . فله الى نقطة ( ا ) جهة . وله الى نقطة ( ب ) جهة . فاذا صار مستقبله ماضياً بطل اسم الممكن عنه وحصل اما في جانب الواجب واما في جانب الممتنع وليس

يصح مادام ممكنا ان يحسب لامن هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبيعته الخاصة به وهو انه يمكن أن يصير الى ههنا أو الى هناك . ولهذا قال الحكيم وجوه الامور الممكنة في اعتابها . واما الامور الضرورية كالمهرم وتوابعه فعلاج الخوف منه ان نعلم أن الانسان اذا حب طول الحياة فقد أحب لامحالة المهرم واستشعره استشعار ما لا بد منه . ومع المهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها . ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحياة اعني القوة الجاذبة والقوة المسكة والهاضمة والدافعة وسائر ما يتبعهما من مواد الحياة . وليست الامراض والآلام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحياء وفقد الاعضاء والمستشعر لهذه الاشياء الملزم لشرائطها في مبدأ كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعى له بها ويرغب الى الله فيها فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان أعظم ما يلحق الانسان منه هو خوف الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومته أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن نبدأ بالكلام فيه فنقول

### ✽ علاج الخوف من الموت ✽

ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة أولا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى موجود

أوليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد. اولانه يظن ان للموت الما عظيما غير ألم الامراض التي ربما تقدمته وادت اليه وكانت سبب حلوله أو لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت. أو لانه متحير لا يدري على اى شىء يقدم بعد الموت. أو لانه يأسف على ما يخلفه من المال والمقتنيات وهذه كلها ظنون باطلة لاحقيقة لها. اما من جهل الموت ولا يدري ما هو على الحقيقة فانانيين له ان الموت ليس بشىء اكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الاعضاء التي يسمى مجموعها بدنا كما يترك الصانع استعمال آلاته. وان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضاً وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم تقدمه وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء في موضعه الخالص به. ومن تطلع اليه ونشط للوقوف عليه لم يبعد مرامه ومن قنع بما ذكرته في صدر هذا الكتاب وسكنت نفسه اليه علم أن ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مبين له كل المباشرة بذاته وخواصه وافعاله وآثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التي شرطنا بقى البقاء الذي يخصه ونقى من كدر الطبيعة وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فناءه وعدمه. فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته وانما تبطل الاعراض والنسب والاضافات التي بينه وبين الاجسام باضدادها. فاما الجوهر فلا ضد له وكل شىء يفسد فانما فساده من ضده وقد يمكنك ان تقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل أن تصل الى براهينه. وان أنت تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخس من ذلك الجوهر الكريم واستقرت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعرضه الى بعض فتبطل خواصه شيئاً فشيئاً

منه واعراضه . فاما الجوهر نفسه فهو باق لاسبيل الى عدمه وبطلانه. مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخاراً وهواءً وكذلك الهواء يستحيل ماءً وناراً فتبطل عن الجواهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه لا سبيل الى عدمه هذا في الجوهر الجسماني القابل للاستحالة والتغير . فاما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل الاستحالة ولا التغير في ذاته وانما يقبل كمالاته وتامات صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي . واما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى أين تصير نفسه أو لانه يظن ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي أن يعلمه . فالجهل اذاً هو الخوف اذ هو سبب الخوف . وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به وتركوا لاجله اللذات الجسمانية وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا أن الراحة التي تكون من الجهل هي الراحة الحقيقية . وان التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة ابدية . ولما يتقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة منه هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي اليها اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريمة الزوال والفناء كثيرة المصوم اذا وجدت . عظيمة الغموم اذا فقدت . واقتصروا منها على المقدار الضروري في الحياة وتسلموا عن فضول العيش الذي فيه ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية . ذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تأقت

نفسه الى غاية اخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء الى امد . وهذا هو الموت لا ما يخاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل . ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت ارادى وموت طبيعى . وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت الارادى امانة الشهوات وترك التعرض لها وبالموت الطبيعى مفارقة النفس البدن . وعنوا بالحياة الارادية ما يسمى له الانسان لحياته الدنيا من المآكل والمشرب والشهوات . وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدى بما تستفيد من العلوم الحقيقية وتبرأ به من الجهل . ولذلك وصى أفلاطون طالب الحكمة بأن قال له مت بالارادة تحي بالطبيعة . على ان من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغي أن يرجوه . ذلك ان هذا الموت هو تمام حد الانسان لانه حي ناطق ميت . فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى أفقه الاعلى . ومن علم ان كل شيء هو مركب من حد وحدّه مركب من جنسه وفصوله . وان جنس الانسان هو الحي وفصله الناطق والمات علم انه سينحل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لا محالة منحل الى ما تركب منه . فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن أسوء حالاً ممن يظن ان فناءه بحياته ونقصانه بتمامه . ذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل . فاذا الواجب على العاقل ان يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتمه ويكمه ويشرفه ويعلى منزلته ويخلى رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الاسر لا من الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتقيداً ويشق بأن الجوهر الشريف الالهى اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسمانى خلاص بقاء وصفه ولا خلاص

مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من اضداده وأغياره ومن ههنا يعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقه اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والبعث من ذاتها وجوهرها سالكة الى أبعاد جهاتها من مستقرها طالبة فرار ما لا قرار له . أما من ظن ان للموت ألماً عظيماً غير ألم الامراض التي ربما اتفق ان تتقدم الموت وتؤدي اليه فعلاجه أن يبين له ان هذا ظن كاذب لان الألم انما يكون للحى والحي هو القابل أثر النفس . وأما الجسم الذى ليس فيه أثر النفس فانه لا يألم ولا يحس فاذا الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لا ألم له لان البدن انما كان يألم ويحس بأثر النفس فيه فاذا صار جسماً لا أثر فيه للنفس فلا حس له ولا ألم . فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا مؤلم لانه فراق ما به كان يحس ويتألم . فأما من خاف الموت لاجل العقاب الذى يوعده به بعد . فينبغي أن يبين له انه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق بعد البدن الدائر . ومن اعترف بشيء باق منه بعد البدن وهو لا محالة معترف بذنوبه وأفعال سيئة يستحق عليها العقاب ومع ذلك هو معترف بما كرم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذا خائف من ذنوبه لا من الموت . ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويحتميه . وقد بينا فيما تقدم ان الافعال الرديئة التي تسمى ذنوباً انما تصدر عن هيئات رديئة والهئات هي للنفس وهي الرذائل التي أحصيناها وعرفناك أضدادها من الفضائل . فاذا الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة جاهل

بما ينبغي أن يخاف منه وخائف بما لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل هو العلم فاذا الحكمة هي التي تخلصنا من هذه الآلام والظنون الكاذبة التي هي نتائج الجهالات والله الموفق لما فيه الخير \* وكذلك نقول لمن خاف الموت لانه لا يدري على ما يقدم بعد الموت لان هذه حال الجاهل الذي يخاف بجهله فعلاجه أن يتعلم ليعلم ويشتيق . وذلك أن من أثبت لنفسه جالا بعد الموت ثم لم يعلم ما هي تلك الحال فقد أقر بالجهل وعلاج الجهل العلم . ومن علم فتمد وثق ومن وثق فتمد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها لا محالة ومن سلك طريقاً مستقيماً الى غرض صحيح أفضى اليه بلا شك ولا مرية . وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك بحكمته وقد عرفناك مرتبته ومقامه فيما سلف من القول \* أما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلف من أهله وولده وماله ونشبهه ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها . فينبغي أن نبين له ان الحزن تعجل ألم ومكروه على ما لا يجدي الحزن اليه بطائل وسندكر علاج الحزن في باب مفرد له خاص لانا في هذا الباب انما نذكر علاج الخوف وقد آتينا مته على ما فيه مقتنع وكفاية إلا انا نزيده بياناً ووضوحاً فنقول \* ان الانسان من جملة الامور الكائنة وقد تبين في الآراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون . ومن أحب ان لا يكون فقد أحب فساد ذاته فكأنه يحب ان يفسد ويحب ان لا يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل . وأيضاً فانه لو لم يمت اسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقى من تقدمنا



ولو بقي من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعهم  
الارض . وانت تبين ذلك مما أقول . هب ان رجلاً واحداً ممن كان منذ  
اربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل  
اولاده موجودين معروفين كعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه مثلاً . ثم ولد  
له اولاد ولا اولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد . كم  
يكون مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك تجدهم اكثر من عشرة آلاف  
الف رجل وذلك ان بقيتهم الآن مع ما قدر فيهم من الموت والقتل الذريع  
اكثر من مائة الف نسمة في جميع الارض واحسب لمن كان في ذلك العصر  
من الناس على بساط الارض مثل هذا الحساب فانهم اذا تضاعفوا هذا  
التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً . ثم امسح بساط الارض فانه  
محدود معروف لتعلم ان الارض حينئذ لا تسعهم قياماً فكيف تعوداً أو  
منصرفين ولا يبقى موضع عمارة يفضل عنهم ولا مكان زراعة ولا مسير لا حد  
ولا حركة فضلاً عن غيرها وهذه مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد  
الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة . فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية  
للبدن ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغبوة  
فاذا الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل  
عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية اخرى لطالب  
مستزيدا وراغب مستفيد . والخائف منه هو الخائف من عدل البارئ وحكمته  
بل هو الخائف من وجوده وعطائه . فقد ظهر ظهوراً حسياً ان الموت ليس  
يردى كما يظنه جمهور الناس وانما الردى هو الخوف منه وان الذي يخاف منه

هو الجاهل به وبذاته . وقد ظهر أيضاً فيما تقدم من قولنا ان حقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن وهذه المفارقة ليست فساداً للنفس وانما هي فساد المتركب . وأما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزم فيه ما لزم في الاجسام مما اوردناه قبيل . بل لا يلزمه شيء من اعراض الاجسام أي لا يتزاحف في المكان لاستغنائها عن المكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائها عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كما لا فاذا كمل بها ثم خلع منها صار الى عالمه الشريف القريب الى بارئته ومنشئه تعالى وتقدس . وهذا الكمال الذي يستنمده في هذا العالم الحسي قد بيناه وعرفناك الطريق اليه بما سلف من القول في هذا الباب وانه السعادة القصوى للانسان واعلمناك ضده الذي هو الشقاء الاقصى له وبيناه مع ذلك مراتب السعادة ومنازل الابرار ودرجاتهم من رضوان الله وجمته التي هي دار القرار كما بينا لك اضدادها من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية بلا قرار نسأل الله حسن المعونة على ما يقربنا منه ويبعدنا من سخطه انه جواد كريم رؤوف رحيم

— ❦ —  
❦ علاج الحزن ❦ —

الحزن ألم نفساني يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب . وسببه الحرص على القنيات الجسمانية والشره الى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده او يفوته منها . وانما يحزن ويجزع على فقد محبوباته وفوت مطلوباته من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنيا يجوز ان يبقى ويثبت عنده او ان جميع ما يطلبه

من مفقوداتها لا بد ان يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما الثابت الباقي هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه واذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقد ما يهواه ولا لقوت ما يتمناه في هذا العالم وصرف سعيه الى المطالبات الضافية واقتصر بهيته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس في طبعه ان يثبت ويبقى واذا حصل له منه شيء بادر الى وضعه في موضعه واخذ منه مقدار الحاجة الى دفع الآلام التي احصيناها من الجوع والعري والضرورات التي تشبهها وترك الادخار والاستكثار والتماس المباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة بها والتمنى لها . واذا فارقت له لم يأسف عليها ولم يبال بها . فان من فعل ذلك أمن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد فلم يشق . ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منتهى . وذلك انه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب أو فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم الكون والفساد . ومن طمع من الكائن الفاسد ان لا يكون ولا يفسد فقد طمع في المحال . ومن طمع في المحال لم يزل خائباً واخائب أبداً محزون والمحزون شقي . ومن استشعر بالعادة الجميلة ورضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفقده لم يزل مسروراً سعيداً . فان ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم له أو لا ينتفع به فلينظر الى استشعارات الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم فيها بحسب قوة الاستشعار . فانه سيرى رؤية بينة ظاهرة فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها . وسرور أصحاب الحرف المختلفة بمذاهبهم على تباينها . ولتصفح ذلك في طبقة طبقة من طبقات الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح

التاجر بتجارته والجندي بشجاعته والمقامر بقماره والشاطر بشطارته والمخنت  
بتختته حتى يظن كل واحد منهم ان المنبون من عدم تلك الحالة حتى فقد  
بهجتها والمجنون من غبي عنها فخرم لنتها . وليس ذلك إلا لقوة استشعار  
كل طائفة بحسن مذهبها ولزومها إياه بالعادة الطويلة . واذا لزم طالب  
الفضيلة مذهبه وقوى استشعاره وحسن رأيه وطالت عادته كان أولى  
بالسرور من هذه الطبقات الذين يخبطون في جهالاتهم وكان أحظايم بالنعيم  
المقيم لانه محق وهم مبطون . وهو متيقن وهم ظنون . ثم هو صحيح وهم  
مرضى . وهو سعيد وهم أشقياء . وهو ولي الله عز وجل وهم اعداؤه وقد  
قال الله عز من قائل ( ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون )  
وقال الكندي في كتاب دفع الاحزان . مما يدل على دلالة واضحة أن الحزن  
شيء يجلبه الانسان ويضعه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد  
ملكاً أو طلب امرأ فلم يجده فلحقه حزن ثم نظر في حزنه ذلك نظراً حكيماً  
وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيراً من الناس ليس  
لهم ذلك الملك وهم غير محزونين بل فرحون مغبوطون علم علماً لا ريب فيه  
ان الحزن ليس يضروري ولا طبيعي . وان من حزن من الناس وجلب لنفسه  
هذا العارض فهو لا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعي . فقد شاهدنا قوماً  
فقدوا من الاولاد والاعزة والاصدقاء ما اشتد حزنهم عليه ثم لم يلبثوا أن  
يعودوا الى حالة المسرة والضحك والنبطة ويصيرون الى حال من لم يحزن قط .  
ولذلك نشاهد من يفقد المال والضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يعز عليه  
ويحزنه فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعاود انسه واغتياطه . فالعاقل اذا

نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه . علم ان ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بديعة وان غايته من مصيبته السلوة . وان الحزن هو مرض عارض يجري مجرى سائر الرذآآت فلم يضع لنفسه عارضاً رديئاً ولم يكتسب مرضاً وضيعاً اعنى مجتلباً غير طبيعي . وبنابني أن نتذكر ما قدمنا ذكره من حال من يحيا بتحية على أن يشمها ويتمتع بها ثم يردّها ليشمها غيره ويتمتع بها سواء فأطمعته نفسه فيها وظن انها موهوبة له هبة ابدية فلما اخذت منه حزن واسف وغضب فان هذه حال من عدم عقله وطمع فيما لامطمع فيه . وهذه حالة الحسود لانه يجب ان يسيد بالخيرات من غير مشاركة الناس . والحسد اقبح الامراض واشنع الشرور . لذلك قالت الحكماء من احب أن ينال الشر اعدائه فهو محب للشر ومحب للشر شرير . وشر من هذا من احب الشر لمن ليس له بعدو . وأسوأ من هذا حالاً من احب ان لا ينال اصدقاءه خيراً . ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد احب له الشر ويجب له من هذه الرذآآت الحزن على ما يتناوله الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون اليه منها . وسواء كانت هذه الخيرات من قنيانا وما ملكناه او مما لم نقتنه ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس وهي ودائع الله عند خلقه . وله ان يجمع العارية متى شاء على يد من شاء . ولا سيئة علينا ولا عار اذا رددنا الودائع وانما العار والسيئة ان نحزن اذا ارتجعت منا . وهو مع ذلك كفر للنعمة لان اقل ما يجب من الشكر لانه ان نرد عليه عاريته عن طيب نفس وتسرع الى اجابته اذا استردها ولا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتمع اخسه . قال واعنى بالافضل ما لا تصل اليه يد ولا يشر كنا فيه احد اعنى النفس والعقل

والفضائل الموهوبة لنا هبه لا تسترد ولا ترجع ويقول ان كان ارتجع الاقل  
 الاخس كما اقتضاه العدل فقد ابقى الاكثر الافضل وانه لو كان واجباً ان نحزن  
 على كل ما نفقده لوجب ان نكون ابدأ محزونين. فينبغي للعاقل ان لا يفكر  
 في الاشياء الضارة المؤلمة وان يقل القنية ما استطاع اذ كان فقدها سبباً  
 للاحزان. وقد حكى عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه وقلة حزنه فقال:  
 لا أتى لا اقتنى ما اذا فقدته حزنت عليه. واذ قد ذكرنا اجناس الامراض  
 الغالبة التي تخص النفس واثرتنا الى علاجها ودللتنا على شفاؤها فليس يتعذر على  
 العاقل المحب لنفسه الساعي لها فيما يخلصها من الآمها وينجيها من مهالكها ان  
 يتصفح الامراض التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداوى  
 نفسه منها ويعالجها بمقابلاتها من العلاجات الراضية الى الله عز وجل ابعد ذلك  
 في التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد وليس يتم احدهما الا بالآخر.  
 هذا آخر المقالة السادسة وهي تمام الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة  
 على النبي محمد وآله واصحابه اجمعين. وحسبنا الله ونعم المعين



101 101

5

C AUG 1971

BJ  
1291  
I 27  
1905

L  
AUG 1971

BJ



